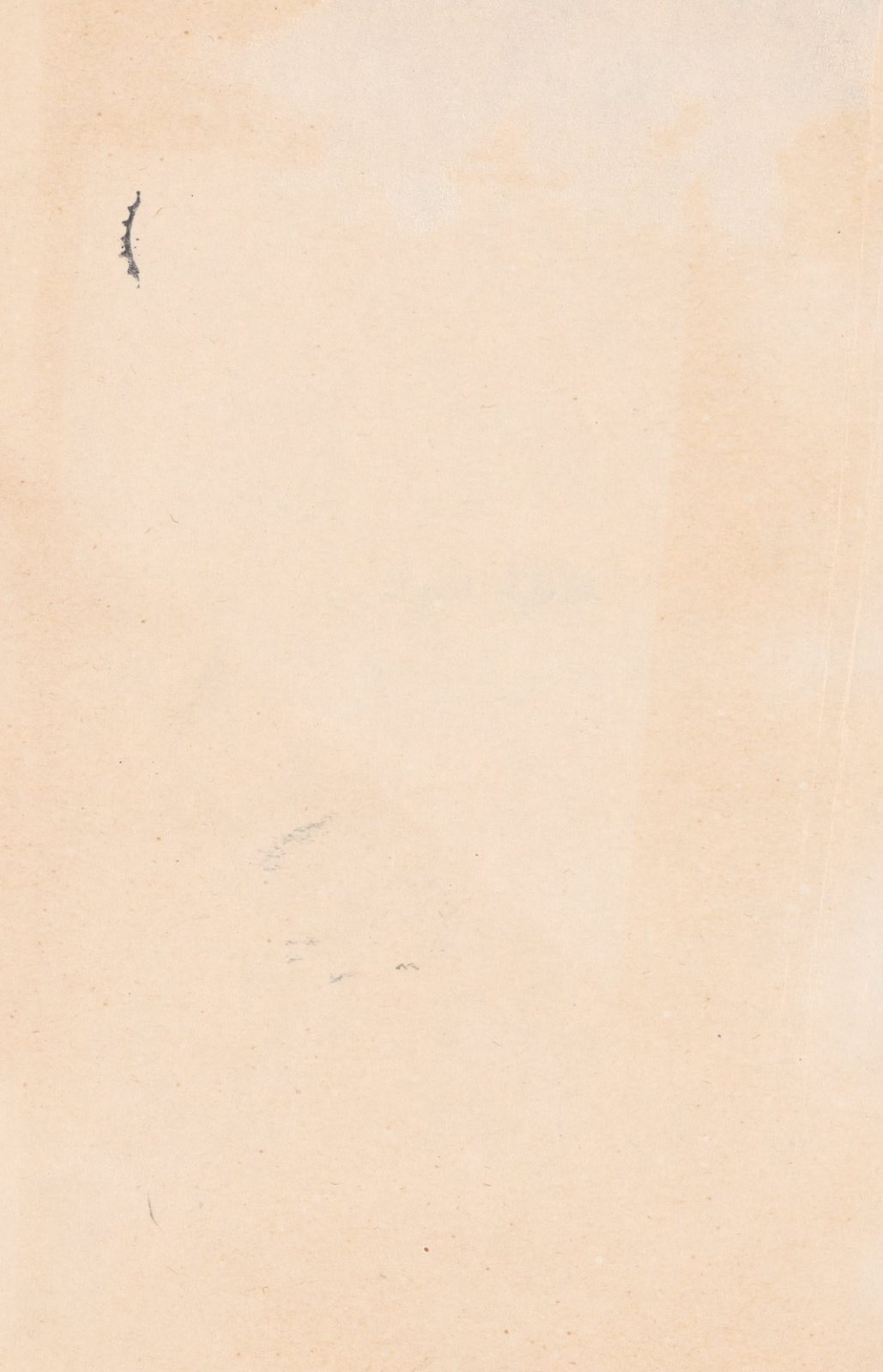


أبن عبد ربه

مخاطبة الملوك

11714-04



مخاطبة الملوك

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه أدب - وأقوال - ونوادر - وملح -
وتاريخ - وأخبار الخ . الخ



مخاطبة الملوك

هو كتاب المرجانة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

المعهد الفريدي

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

892.708
I1322kaf10

v.5
c.1

مخاطبة الملوك

Call: 26 Dec, '52

مكتبة صادر
بيروت

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

كتاب المرجانة

في مخاطبة الملوك

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولنا في الوفود والوافدات ومقاماتهم بين يدي
نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبين يدي الخلفاء والملوك ،
ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده في مخاطبة
الملوك والتزلف إليهم بسحر البيان ، الذي يمازج الروح لطافة
ويجري مع النفس رقة ؛ والكلام الرقيق مصاديد القلوب ، وإن
منه لما يستعطف المستشيط غيظاً ، والمندمل حقداً ، حتى
يُطْفِئ جَمْرَةَ غِيظِهِ ، وَيَسْلُ دَفَائِنَ حَقْدِهِ ؛ وَإِنَّ مِنْهُ لَمَّا
يَسْتَمِيلُ قَلْبَ اللَّئِيمِ ، وَيَأْخُذُ بِسَمْعِ الْكَرِيمِ وَبَصَرِهِ ؛ وَقَدْ
جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَسِيلَةً نَافِعَةً ، وَشَافِعاً مَقْبُولاً ،
قال تبارك وتعالى : « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ
عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . »

وسندكر في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى مَنْ تَخَلَّصَ مِنْ
أَنْشُوطَةِ الْهَلَكَ وَتَفَلَّتْ مِنْ حَبَائِلِ الْمَنِيَّةِ ، بِحُسْنِ التَّنَصُّلِ ،
وَلَطِيفِ التَّوَصُّلِ ، وَلَيْنِ الْجَوَابِ ، وَرَقِيقِ الْإِسْتِعَابِ ،
حتى عادت سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ ، وَعَيْضُ الثَّوَابِ بَدَلاً مِنَ الْعِقَابِ .
وحفظ هذا الباب ، أوجب على الإنسان من حفظ عِرْضِهِ ،
وَالزَّمُ لَهُ مِنْ قَوَامِ بَدَنِهِ .

البيان

كلُّ شيءٍ كَشَفَ لكَ قِنَاعَ الْمَعْنَى الْحَفِيِّ حَتَّى يَتَأَدَّى إِلَى
الْفَهْمِ وَيَتَقَبَّلَهُ الْعَقْلُ ، فَذَلِكَ الْبَيَانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ،
فِي كِتَابِهِ ، وَمَنْ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : « الرَّحْمَنُ
عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ . »

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِيمَ الْجَمَالُ ؟ فَقَالَ :
فِي اللِّسَانِ ، يَرِيدُ الْبَيَانَ .

وَقَالَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا .

وَقَالَتِ الْعَرَبُ : أَنْفَذُ مِنَ الرَّمِيَّةِ كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ .

وَقَالَ الرَّاجِزُ :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا ،
رَاوِيَةً طَوْرًا وَطَوْرًا شَاعِرًا

وقال سهل بن هارون :

العقل رائدُ الرُّوح ، والعِلْمُ رائدُ العقْل ، والبيان
ترجُمانُ العِلْم .

وقالوا : البيانُ بَصْر ، والعِيُّ عَمَى ؛ كما أنَّ العِلْمَ بَصْر ،
والجَهْلَ عَمَى . والبيانُ من نِتاجِ العلم ، والعِيُّ من نِتاجِ الجهل .

وقالوا : ليس لِمَنْقُوصِ البيانِ بهاء ، ولو حَكَّ بيا فوخه
عَنانُ السماء .

وقال صاحبُ المَنْطِق^١ : حَدَّ الانسان : الحيُّ الناطق
المُبِين . وقال : الرُّوحُ عِمادُ البَدَن ، والعِلْمُ عِمادُ الرُّوح ،
والبيانُ عِمادُ العلم .

١ هو ارسطاطاليس الفيلسوف اليوناني .

تبجيل الملوك وتعظيمهم

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .



وقالت العلماء :

لا يُؤمُّ ذو سلطان في سلطانه ، ولا يُجلَس على تكريمته إلا بإذنه .



وقال زياد ابن أبيه :

لا يُسلَّم على قادم بين يدي أمير المؤمنين .



وقال يحيى بن خالد بن برمك :

مُسألة الملوك عن حالها من سجيّة السّوكى^١ ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صَبَحَ اللهُ الأميرَ بالنعمة والكرامة ؛ وإذا كان عليلًا ، فأردت

١ النوكى ، واحداها انوك : الأحمق .

أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقُلْ : أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْأَمِيرِ الشِّفَاءَ وَالرَّحْمَةَ ؛
فَإِنَّ الْمُلُوكَ لَا تَسْأَلُ وَلَا تُشْمَتُ وَلَا تُكَيَّفُ . وَأَنْشُدْ :

إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يُخَاطَبُونَ ، وَلَا إِذَا مَلَّثُوا يُعَاتَبُونَ

وَفِي الْمَقَالِ لَا يُنَازَعُونَ ، وَفِي الْعُطَاسِ لَا يُشْمَتُونَ^١

وَفِي الْخُطَابِ لَا يُكَيَّفُونَ ، يُشْنَى عَلَيْهِمْ وَيُجَبَّلُونَ^٢

فَافْهَمْ وَصَاقِي لَا تَكُنْ مَجْنُونًا



اعْتَلَّ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ، فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحٍ الْكَاتِبَ
إِذَا أَتَاهُ عَائِدًا لَمْ يَزِدْ عَلَى السَّلَامِ عَلَيْهِ وَالدَّعَاءَ لَهُ ، وَيُخَفِّفُ فِي
الْجُلُوسِ ، ثُمَّ يَلْقَى حَاجِبَهُ فَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ وَمَا كَلَهُ وَمَشْرَبَهُ
وَنَوْمَهُ ، وَكَانَ غَيْرُهُ يُطِيلُ الْجُلُوسَ . فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ عِلَّتِهِ
قَالَ : مَا عَادَنِي فِي عِلَّتِي هَذِهِ إِلَّا إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحٍ .



وَقَالَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ لَهُ :

إِنَّا رُبَّمَا جَلَسْنَا عِنْدَكَ فَوْقَ مِقْدَارِ شَهْوَتِكَ ، فَتُرِيدُ أَنْ

١ يشمتون ، من شمت العاطس : دعا له بقوله : يرحمك الله .

٢ يكيفون : يقال لهم كيف حالكم .

تجعل لنا علامةً نَعْرِفُ بها ذلك ؛ فقال : علامة ذلك أن أقول :
إذا شِئتم .

وقيل ذلك ليزيد ، فقال : إذا قلتُ : على بركة الله .

وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال : إذا وضعتُ
الخيزرانة من يدي .

ومن تمام خدمة الملوك أن يُقَرَّبَ الخادمُ إليه نعلَيْه ، ولا
يدعه يمشي إليهما ، ويجعل النعل اليمنى مُقابلة الرجل اليمنى ،
واليسرى مُقابلة اليسرى ؛ وإذا رأى مُتَكأً يحتاج الى إصلاح
أصلحه قبل أن يُؤمر ، فلا يَنتظر في ذلك أمره ؛ ويتفقّد
الدّواة قبل أن يأمره ، وينفُض عنها الغبار إذا قَرَّبها إليه ؛
وإن رأى بين يديه قِراطساً قد تباعد عنه قَرَّبَه ووَضعه بين
يديه على كِيسره .

ودخل الشَّعبيّ على الحجاج ، فقال له : كم عطاك ؟

قال : ألفين .

قال : ويحك ! كم عطاؤك ؟

قال : ألفان .

قال : فلم لِحَنَت فيما لا يَلْحَن فيه مثلك ؟

قال : لِحَنَ الأمير فلحنت ، وأعرب الأمير فأعربت ،

ولم أكن لِيَلْحَن الأمير فأعرب أنا عليه ، فأكون كالمُقَرَّع له
بلحنه ، والمستَظِيل عليه بفضل القول قبله .

فأعجبه ذلك منه ووهبه مالاً .

قبلة اليد

ذكر عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر، رضي الله
عنهما، قال :

كنا نُقبِّل يدَ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

ومن حديث وكيع عن سفيان قال قال :
قبِّل أبو عُبيدة يدَ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

ومن حديث الشعبي قال :

لقي النبي ، عليه الصلاة والسلام ، جعفر بن أبي طالب ، رضي الله
عنه ، فالتزمه وقبِّل ما بين عينيه .

قال إياس بن دَعْفَل :

رأيتُ أبا نَضْرَةَ^١ يُقبِّل خَدَّ الحُسَيْن .

١ أبو نضرة : المنذر بن مالك العبدي .

الشَّيبَانِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ مُصْعَبٍ قَالَ :
رَأَيْتُ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَبَّلَ
يَدَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ فَلَمْ يَنْهَهُ .

العُتْبِيُّ قَالَ :

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَقَالَ :
يَدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ يَدٍ بِالتَّحْقِيلِ ، لَعُلَّوْهَا فِي الْمَكَارِمِ ،
وَطَهَّرَهَا مِنَ الْمَآثِمِ ؛ وَإِنَّكَ تَقِلُّ التَّشْرِيبَ ، وَتَصْفَحُ عَنِ
الذُّنُوبِ ، فَمَنْ أَرَادَ بِكَ سُوءًا جَعَلَهُ اللَّهُ حَصِيدَ سَيْفِكَ ،
وَطَرِيدَ خَوْفِكَ .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الْهَجَرِيُّ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، نَغَضُ فَمِي^١ ، وَأَنْتُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ بَرَكَةٌ ، فَلَوْ أَدْنَتْ
فَقَبَّلْتَ رَأْسَكَ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَمْسُكُ عَلِيًّا مَا بَقِيَ مِنْ أَسْنَانِي .

قَالَ : اخْتَرْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَائِزَةِ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْسَرُ عَلَيَّ مِنْ ذَهَابِ الْجَائِزَةِ أَنْ
لَا تَبْقَى فِي فَمِي حَاكَّةٌ^٢ .

١ نغض فمي : أي تحركت أسناني وقلقت .

٢ الحاككة : السن .

فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

•

ودخل جعفر بن يحيى في زِيِّ العامة وكتان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة ، ومعه ثُمَامَةُ بن أَشْرَس ؛ فقال ثُمَامَةُ : هذا أبو الفضل ؛ فَسَهَضَ إِلَيْهِ سُليمان فقبَّل يَدَهُ ، وقال له : بأبي أَنْتَ ، ما دعَاكَ الى أَنْ تُحَمِّلَ عَبْدَكَ ثِقَلَ هذه المِئْنة التي لا أقوم بِشُكْرِهَا ولا أقدر أَنْ أَكْفِيَ عَلَيْهَا ؟

•

الشعبيّ قال :

رَكِبَ زَيْدُ بنِ ثَابِت ، فَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ بِرِكَابِهِ ؛ فقال : لا تَفْعَلْ يَا بنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

قال : هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا .

فقال زيد : أَرِنِي يَدَكَ .

فأَخْرَجَ إِلَيْهِ يَدَهُ ، فَأَخَذَهَا وَقَبَّلَهَا ، وقال : هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا .

•

وقالوا :

قُبْلَةُ الْإِمَامِ فِي الْيَدِ ، وَقُبْلَةُ الْأَبِ فِي الرَّأْسِ ، وَقُبْلَةُ الْأَخِ فِي الْخَدِّ ، وَقُبْلَةُ الْأَخْتِ فِي الصَّدْرِ ، وَقُبْلَةُ الزَّوْجَةِ فِي الْفَمِ .

من كره من الملوك

تقبيل اليد

العُتبيّ قال :

دخل رجلٌ على هشام بن عبد الملك فقبّل يده ؛ فقال : أفٍّ
له ! إنَّ العرب ما قبّلت الأيدي إلا هُلوعاً ، ولا فعلته العجم
إلا خُضوعاً .

•
واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده ، فقال له : إنَّ قبلة
اليَد من المسلم ذلة ، ومن الذمّي خديعة ، ولا حاجة بك أن
تذل ، ولا بنا أن نخدع .

•
واستأذن أبو دلامة الشاعر المهديّ في تقبيل يده ؛ فقال :
أمّا هذه فدعها ؛ قال : ما منعت عيالي شيئاً أيسر فقدراً
عليهم من هذه .

حسن التوفيق

في مخاطبة الملوك

قال هارون الرشيد لِمَعْنُ بن زائدة : كيف زمانك
يا مَعْن ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، أنت الزمان ، فإن صَلُحْتَ صَلُحَ
الزمان ، وإن فسدت فسد الزمان .

وهذا نظير قول سَعِيد بن سَلَم ، وقد قال له أمير المؤمنين
الرشيد : مَنْ بَيَّتَ قَيْسَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، بنو فِزَارَةَ .
قال : فَمَنْ بَيَّتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، الشريفُ من شَرَفْتُمُوهُ .
قال : صدقت أنت وقومك .

ودخل مَعْنُ بن زائدة على أَبِي جَعْفَر ، فقال له : كَبُرَتْ
يا مَعْن .

قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنك لجَلَدٌ .

قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين .

قال : وإن فيك لبقيةً .

قال : هي لك يا أمير المؤمنين .

قال : أيّ الدولتين أحبُّ إليك أو أبغض : أدولتنا أم دولة

بني أمية ؟

قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برُّك على برِّهم

كانت دولتك أحبَّ إليّ ، وإن زاد برُّهم على برِّك كانت دولتهم أحبَّ إليّ .

قال : صدقت .



قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهذا منزلُك ؟ قال :

هو لأمر المؤمنين ولي به ، قال : كيف ماؤه ؟ قال : أطيب

ماء ، قال : فكيف هواؤه ؟ قال : أصحَّ هواء .



وقال أبو جعفر المنصور لجريز بن يزيد : إني أردتُك لأمر ؛

قال : يا أمير المؤمنين ، قد أعدَّ الله لك منِّي قلباً معقوداً بطاعتك ،

ورأيًا موصولاً بنصيحتك ، وسيفاً مشهوراً على عدوك ، فإذا
سئمت فقل .

وقال المأمون لطاهر بن الحسين : صف لي ابنك عبد الله ؛
قال : يا أمير المؤمنين ، إن مدحته عبته ، وإن ذمته اغتبه ،
ولكنه قدح في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين .

وأمر بعض الخلفاء رجلاً بأمر ، فقال : أنا أطوع لك من
الرّداء ، وأذل لك من الحذاء .

وهذا قاله الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات .
وقال آخر : أطوع لك من يدك ، وأذل لك من نعالك .

وقال المنصور لمسلم بن قتيبة : ما ترى في قتل أبي مسلم ؟
قال : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . قال : حسبك أبا أمية .

وقال المأمون ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة !
قال : بلى ، ولكن منابهم الجذوع .

وقال المنصور لإسحاق بن مسلم : أفرطت في وفائك لبني

أُمِيَّة ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ وَفَى لِمَنْ لَا يُرْجَى كَانَ لِمَنْ
يُرْجَى أَوْفَى .

•
وَقَالَ هَارُونَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ : صِفْ لِي مَنْسُوجٌ ، قَالَ :
رَقِيقَةُ الْهَوَاءِ ، لَيْسَنَةُ الْوِطَاءِ ، قَالَ : فَصِفْ لِي مَنْزِلَكَ بِهَا ، قَالَ :
دُونَ مَنَازِلِ أَهْلِي ، وَفَوْقَ مَنَازِلِ أَهْلِهَا ، قَالَ : وَلَمْ وَقَدْرَكَ
فَوْقَ أَقْدَارِهِمْ ؟ قَالَ : ذَلِكَ خُلِقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَتَأْسَى بِهِ وَأَقْفُو
أَثَرَهُ وَأَحْذَوْ مِثَالَهُ .

•
وَدَخَلَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ الدِّيْوَانِ ، فَرَأَى غَلَامًا جَمِيلًا عَلَى
أُذُنِهِ قَلَمٌ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غَلَامٌ ؟ قَالَ : أَنَا النَّاشِئُ فِي
دَوْلَتِكَ ، وَالْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، وَالْمُؤَمِّلُ لِحُدُومَتِكَ ، الْحَسَنُ
ابْنُ رَجَاءٍ ، قَالَ الْمَأْمُونُ : بِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيَّةِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولُ ،
ارْفَعُوا هَذَا الْغَلَامَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ .

•
عَلِي بْنُ يَحْيَى قَالَ :

إِنِّي عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ ، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَخْطُرُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَيَقُولُ :
أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ ، جِئْتُ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ

فقال المتوكل : قُومُوا التَّقَطُوا هذا الجوهر لثلاً يَضِيع .

ودخل عَقَّال بن سَبَّة على أَبِي عُبيد الله كَاتِب المَهْدِيِّ ،
فقال : يَا عَقَّال ، لَمْ أَرَكَ مِنْذُ الْيَوْم ؛ قال : وَاللهِ إِنِّي لِأَلْقَاكَ
بَشَوْق ، وَأَغْيَب عَنْكَ بَتَوْق .

وقال عبد العزيز بن مروان لِنُصَيْب بن رَبَاح ، وكان أَسُود :
يَا نُصَيْب ، هَلْ لَكَ فِيمَا يُثْمِرُ الْمَحَادَثَةَ ؟ يَرِيدُ الْمُنَادِمَةَ ؛ فقال :
أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِير ، اللَّوْنُ مُرَمَّدٌ^١ ، وَالشَّعْرُ مُفْلَفَلٌ^٢ ، وَلَمْ
أَقْعُدْ إِلَيْكَ بِكَرِيمٍ عُنْصُرٍ ، وَلَا بِجُسْنٍ مَنَظَرٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَقْلِي
وَلِسَانِي ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تَفَرِّقَ بَيْنَهُمَا فَافْعَل .

ولما ودَّعَ المَأْمُونُ الحُسَيْنَ بنَ سَهْلٍ عِنْدَ مَخْرَجِهِ مِنْ مَدِينَةِ
الْإِسْلَامِ ، قَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ تَعْهَدُ إِلَيَّ فِيهَا ؟ قَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِكَ مَا لَا أَسْتَعِينُ عَلَى
حِفْظِهِ إِلَّا بِكَ .

١ مرمد : أي لون الرماد .

٢ شعر مفلفل : مجعد .

وقال سعيد بن سلم بن قتيبة للمأمون : لو لم أشكر الله
إلاّ على حسن ما أبلاني في أمير المؤمنين من قصده إليّ بحديثه
وإشارته إليّ بطرفه ، لكان ذلك من أعظم ما توجب به النعمة
وتفرضه الصنعة ؛ قال المأمون : ذلك والله لأن الأمير يجد
عندك من حسن الإيفاء إذا حدثت ، وحسن الفهم إذا
حدثت ، ما لا يجده عند غيرك .

مدح الملوك والتزلف اليهم

في سِيَرِ الْعَجَمِ أَنَّ أَرْدَشِيرَ بْنَ يَزْدَجِرْدَ لما استوثق له أمرُهُ ، جَمَعَ النَّاسَ ، فخطبهم خطبة حَضَّهم فيها على الألفة والطاعة وحذَّهم المعصية ومُفارقة الجماعة ، وصنَّف لهم النَّاسَ أربعة أصناف ، فخرَّوْا له سُجَّدًا . وتكلَّم مُتَكَلِّمهم ، فقال : لا زلت أيها الملك مَحْبُوءًا من الله بعزِّ النصر ، ودَرَكَ الأمل ، ودوام العافية ، وقام النِّعمة ، وحُسن المَزِيد .

ولا زلت تَتَابَعُ لَدَيْكَ الْمَكْرُمَاتِ ، وتُشَفِّعُ إِلَيْكَ الذَّمَامَاتِ^١ ، حتى تبلغَ الغاية التي يُؤْمَنُ زوالها ، ولا تَنْقُطع زَهْرَتُها ، في دار القَرَارِ التي أَعَدَّها اللهُ لِنُظْرَائِكَ من أهل الزُّلْفَى عنده ، والحُظُوةِ لديه .

ولا زال مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ باقِيَيْنِ بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البُحُور والأنهار ، حتى تستوي أقطارُ الأرض كلها في عُلوِّكَ عليها ، ونَفَازِ أَمْرِكَ فيها ، فقد أَشْرَقَ عَلَيْنَا من ضياءِ نُورِكَ ما عَمَّنَا عُمُومُ ضياءِ الصُّبْحِ ، ووصل إلينا من

١ الذَّمَامَاتِ : أراد بها الحقوق والحرمان .

عظيم رَأْفَتِكَ ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم ، فأصبحت قد
جمع الله بك الأيادي بعد افتراقها ، وألّف بين القلوب بعد
تباغضها ، وأذهب عَنَّا الإحْـنَ والحَسائِفَ^١ بعد تَوَقُّدِ نيرانها ،
بفَضْلِكَ الذي لا يُدْرِك بوصف ، ولا يُحَدِّثُ بِنِعْمَت .

فقال أردشير : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مُستَحَقًّا ،
وللداعي إذا كان للإجابة أهلاً .



ودخل حَسَّان بن ثابت على الحارث الجفني فقال : أَنعِم
صباحاً أيها الملك ، السَّماءُ غطاؤُكَ ، والأَرْضُ وطاؤُكَ ، ووالدي
ووالدتي فِداؤُكَ ، أَنتَ يِناوئُكَ المُنْذِرُ^٢ ، فوالله لَقَدالِكَ
أَحْسَنُ من وَجْهِهِ ، ولأَمُّكَ أَحْسَنُ من أَبِيهِ ، ولظَلُّكَ خَيْرُ
من شَخْصِهِ ، وَلَصَمَّتْكَ أَبْلَغُ من كَلامِهِ ، ولشِمَالُكَ خَيْرُ
من يَمِينِهِ . ثم أَنشأ يقول :

وَنُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا مُنْذِرٍ يُسَامِيكَ لِاحْدَثِ الأَكْبَرِ
قَدالِكَ أَحْسَنُ من وَجْهِهِ ، وَأَمُّكَ خَيْرُ من المُنْذِرِ^٣

١ الحسائف ، واحدها حسيقة : العداوة .

٢ المنذر : هو ابن المنذر بن ماء السماء اللخمي .

٣ القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

وَيُسْرِي يَدَيْكَ إِذَا أُعْسِرْتَ ، كَيْمُنِي يَدِيهِ ، فَلَا تَمْتَرِ

ودخل خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما
وَلِيَّ الْخِلَافَةِ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من تكون الخِلافة قد
زانتَه فأنت قد زنتها ، ومن تكون شَرَفَتْه فأنت قد شَرَفَتْها ،
وأنت كما قال الشاعر :

وَإِذَا الدَّرْزَانُ حُسِّنَ وَجْوهُ ، كَانَ لِلدَّرِّ حَسَنُ وَجْهِكَ زَيْنَا
فقال عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله : أعطني صاحبكم مَقُولاً
ولم يُعْطَ مَعْقُولاً .

ذكر ابن أبي طاهر قال :

دخل المأمون بغداد فتلَقَّاهُ وجوهُ أهلها ، فقال له رجل منهم : يا
أمير المؤمنين ، بارك الله لك في مَقْدَمِكَ ، وزادك في نِعْمَتِكَ ،
وشَكَرَكَ عن رَعِيَّتِكَ ، تَقَدَّمَتْ مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ ،
وَأَيَسَتْ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلُكَ ؛ أَمَا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ ، وَأَمَا فِيمَا
بَقِيَ فَلَا نَرْجُوهُ ، فنحن جميعاً ندعو لك ، ونُثْنِي عَلَيْكَ ؛ تَخَصَّبَ
لَنَا جَنَابُكَ ، وَعَذَّبَ شَرَابُكَ ؛ وَحَسُنْتَ نَظَرْتُكَ ، وَكَرُمْتَ
مَقْدَرْتُكَ ؛ جَبَرْتَ الْفَقِيرَ ، وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ ، فأنت يا أمير
المؤمنين كما قال الأول :

مَا زِلْتَ فِي الْبَذْلِ لِلنَّوَالِ ،
وَإِطْلَاقِ لِعَانٍ ، بِجُرْمِهِ ، عَلِقَ^١

حَتَّى تَمْنَى الْبِرَاءَ^٢ أَنَّهُمْ
عِنْدَكَ أَسْرَى ، فِي الْقَيْدِ وَالْحَلَقِ^٢

•
وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ : أَيُّهَا
الْأَمِيرُ ، إِنَّكَ لَتَبْذُلُ مَا جَلَّ ، وَتَجْبُرُ مَا اَعْتَلَّ ، وَتُكْثِرُ
مَا قَلَّ ، فَفَضْلُكَ بَدِيعٌ ، وَرَأْيُكَ جَمِيعٌ .

•
وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لَقَدْ صَرْتُ لَا أُسْتَكْثَرُ كَثِيرَكَ ،
وَلَا أُسْتَقَلُّ قَلِيلَكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ أَكْثَرُ
مِنْ كَثِيرِكَ ، وَلَآنَ قَلِيلِكَ أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرِ غَيْرِكَ .

•
وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لَوَالٍ دَخَلَ عَلَيْهِ : قَدِمْتَ فَأُعْطِيتَ
كَلَالًا بِقِسْطِهِ مِنْ نَظْرِكَ وَمَجْلِسِكَ ، وَصِلَاتِكَ وَعِدَاتِكَ ، حَتَّى
كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَكَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ .

١ العاني : الاسير .

٢ البراء : البريئون .

وقال الرشيدُ لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئاً ؟
 قال : يا أمير المؤمنين ، المديحُ كلُّهُ دونَ قَدْرِكَ ، والشعرُ
 فيكَ فوقَ قَدْرِي ، ولكنني أَسْتَحْسِنُ قولَ العتّابي :

ماذا عَسَى مَدَحٌ يُثْنِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ
 نَادَاكَ ، فِي الْوَحْيِ ، تَقْدِيسٌ وَتَطْهِيرٌ

فَتَ الْمَدَاحِ ، إِلَّا أَنْ أَلْسَنَنَا
 مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تُخْفِي الضَّمَايِيرُ^١



مدح خالدُ بن صفوان رجلاً فقال : قَرِيعَ الْمُنْطِقِ ، جَزَلَ
 الْأَلْفَافِ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، حَسَنَ الْإِشَارَاتِ ،
 حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، كَثِيرَ الطَّلَاوَةِ ، صَمُوتاً قَوُولاً ، يَهْنَأُ الْجَرْبُ^٢ ،
 وَيَدَاوِي الدَّبَرَ^٣ ، وَيُقِلُّ الْحَزَّ^٤ ، وَيُطَبِّقُ الْمِفْصَلَ ، لَمْ يَكُنْ بِالْبَرِّمِ^٥

١ الضماير : الضمائر .

٢ يهناً : يطلي بالهاء ، القطران ، أراد انه لا يتكلم الا فيما يجب الكلام فيه مثل
 الطالي الرفيق الذي يضع القطران على الجرب .

٣ الدبر : واحدها دبرة ، قرحة الدابة .

٤ الحز : القطع . شبه البليغ الموجز الذي يقل الكلام ويصيب الفصول والمعاني
 بالجزار الرفيق الذي يقل حز اللحم ويصيب مفاصله .

٥ البرم : الملول .

في مُروءته ، ولا بالهذِر في مَنَطقه ، مَتَّبِعاً غير تابع .

كَاتَّبَهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

دخل سَهْل بن هارون على الرشيد ، فوجده يُضاحك ابنه المأمون ، فقال : اللهم زِدْهُ من الخِيرات ، وابسُطْ له في البركات ، حتى يكون كلُّ يوم من أيَّامه مُوفياً على أَمسه ، مُقَصِّراً عن غده .

فقال له الرشيد : يا سَهْل ، من رَوَى من الشعر أحسنَه وأجودَه ، ومن الحديث أصحَّه وأبلغه ، ومن البيان أفصحَه وأوضحَه ، إذا رام أن يقول لم يُعْجزه ؟
قال سَهْل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننتُ أنَّ أحدًا تقدَّمَنِي سَبَقَنِي إلى هذا المعنى .

فقال : بل أعشى هَمْدان حيث يقول :

وجدتُك أَمْسَ خَيْرَ بَنِي لُؤَيٍّ ،
وأنتَ اليومَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسَ .
وأنتَ غداً تَزِيدُ الخَيْرَ ضِعْفًا ،
كذلك تَزِيدُ سَادَةَ عِبْدِ شَمْسٍ .

١ هذا عجز بيت للخنساء في صخر أخيها ، صدره : وان صخرًا لتأتم الهداة به .

وكان المأمون قد استثقل سهل بن هارون ، فدخل عليه يوماً والناسُ عنده على منازلهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كلُّ مذهب ؛ فلما فرغ أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع ، فقال لهم : ما لكم تسمعون ولا تعملون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتعجبون ولا تصفون ؟ أما والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ، مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمهم ، وعجمهم كعرب بني تميم ، ولكن كيف يشعر بالدواء من لا يعرف الدواء ؟ قال : فرجع له المأمون الى رأيه الأول .

وكان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكي ، فلما أثنى الوفدُ على الحجاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الحجاج سيفك الذي لا يذبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم .

فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ على الحجاج ولا أحبَّ إليه منه .

حدث الشيباني قال :

أقام المنصورُ صالحاً ابنه ، فتكلم في أمر فأحسن ، فقال

شبيب بن شيبه : تالله ما رأيتُ كاليوم أبينَ بياناً ، ولا
أعربَ لساناً ، ولا أربطَ جأشاً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أحسنَ
طريقاً ، وحقّ لمن كان المنصور أباه ، والمهدي أخاه ، أن
يكون كما قال زهير :

هو الجوادُ ، فإن يَلْحَق بشأوهما ،
على تكاليفه ، فمِثْلُه لَحِقاً

أو يَسْبِقاه على ما كان من مهلٍ ،
فمِثْلُ ما قدّما من صالحٍ سَبَقاً

•
وخرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوماً ، ف قيل له :
كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيتُ الداخل راجياً ، والخارج
راضياً .

•
وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلامَ
ويستعدّ له ، فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأةً لافتضح .
قال : فأمر رسولاً فأخذ بيده فصعد المنبر ، فحمد الله
وأثنى عليه ، وصلى على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
ألا إن لأُمير المؤمنين أشباهاً أربعة : فمنها الأسد الحادر ،
والبحرُ الزّاهر ، والقمر الباهر ، والرّبيع النّاضر ؛ فأما الأسد

الحادر ، فأشبهه منه صولته ومضاهه ، وأما البحر الزاخر
فأشبهه منه جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره
وضيائه ، وأما الربيع الناضر فأشبهه منه حسنه وبهاءه ؛ ثم نزل .

وقال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلمم ب حاجتك .
قال : يا أمير المؤمنين ، بُهرُ الدرجة وهيبة الخلافة يميناني
من ذلك .

قال : فعلى رسلك ، فإننا لا نحب مدح المشاهدة ، ولا
تزكية اللقاء .

قال : يا أمير المؤمنين ، لست أمدحك ، ولكن أحمد الله
على النعمة فيك .

قال : حسبك فقد أبلغت .

ودخل رجل على المنصور ، فقال له : تكلمم ب حاجتك .

فقال : يبيك الله يا أمير المؤمنين .

قال : تكلمم ب حاجتك ، فإنك لا تقدر على هذا المقام
كل حين .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف
بخلك ، ولا أغتتم مالك ، وإن عطاءك لشرف ، وإن سؤالك

لَتَزِينَنَّ ، وما لأمريء بَدَل وجهه إليك نقصٌ ولا شين .
قال : فأحسن جائزته وأكرمه .

حدث إبراهيم بن السَّندي قال :

دخل العمانيُّ على المأمون ، وعليه قَلَنْسُوءة طويلة وخُفٌّ
ساذج^١ ، فقال له : إِيَّاكَ أَنْ تُنْشِدَنِي إِلَّا وَعَلَيْكَ عِمَامَةٌ عَظِيمَةٌ
الْكُورُ وَخُفَّانِ رَائِقَانِ^٢ . قال : فغدا عليه في زيِّ الأعراب
فأنشده ، ثم دنا فقبَّل يده ، وقال : قد والله يا أمير المؤمنين
أنشدتُ يزيدَ بنَ الوليد ، وإبراهيمَ بنَ الوليد ، ورأيتُ وجوهَهُما ،
وقبَّلتُ أيديَهُما وأخذتُ جوارِزَهُما ؛ وأنشدتُ مروانَ ،
وقبَّلتُ يده وأخذتُ جائزته ؛ وأنشدتُ المنصورَ ، ورأيتُ
وجهه ، وقبَّلتُ يده وأخذتُ جائزته ؛ وأنشدتُ المهديَّ ، ورأيتُ
وجهه ، وقبَّلتُ يده وأخذتُ جائزته ؛ الى كثيرٍ من
أشباه الخلفاء ، وكُبراء الأُمراء ، والسادة الرُّؤساء ، فلا والله
يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ فيهم أبهى منظرًا ، ولا أحسن وجهًا ،
ولا أنعمَ كفًّا ، ولا أندى راحةً منك يا أمير المؤمنين .
قال : فأعظَمَ له الجائزة على شعره ، وأضعفَ له على كلامه ،

١ الساذج : البسيط ، ما لا نقش فيه .

٢ رائقان : حسانان .

وأقبل عليه بوجهه وبشّره فبسطه ، حتى تمتّى جميع من حضره أنهم قاموا مقامه .

•
حَدَّثَ الْعُتْبِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ :

قدم على عمر بن عبد العزيز ناسٌ من أهل العراق ، فنظر الى شابٍ منهم يتحوّش^١ للكلام ، فقال : أكْبِرُوا أكْبِرُوا ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس بالسنّ ، ولو كان الأمر كله بالسن لكان في المسلمين من هو أسنّ منك .

فقال عمر : صدقتَ رَحِمَكَ اللهُ ، تكلّم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنَّمَا لَمْ نَأْتِكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ، أَمَا الرِّغْبَةُ فَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْنَا مَنَازِلَنَا ، وَقَدِمَتْ عَلَيْنَا بِلَادُنَا ، وَأَمَا الرِّهْبَةُ فَقَدْ أَمَّنَّا اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ جَوْرِكَ .

قال : فما أنتم ؟

قال : وفد الشُّكْرِ .

قال : فنظر محمد بن كعب القرظيّ الى وجه عمر يتهلّل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يعلبنّ جهلُ القوم بك معرفتك بنفسك ، فإن ناساً خدعهم الثناء ، وغرّهم شكرُ الناس فهلكوا ، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم .
فألقي عمرُ رأسه على صدره .

١ يتحوش : يتأهب .

التنصل والاعتذار

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من لم يقبل من مُتَنَصِّل
عُذْرًا صادقاً كان أو كاذباً لم يَرُدْ على الحوض .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : المُعْتَرِفُ بالذنب كمن لا
ذنبَ له .

وقال : الاعترافُ يَهْدِمُ الاقتراف .



وقال الشاعر :

إذا ما امرؤ ، من ذنبه ، جاء تائباً
إليك ، فلم تَغْفِرْ له فلك الذَّنْبُ



واعتذر رجلٌ الى إبراهيم بن المهديّ ، فقال : قد عذرتك
غير مُعْتَذِر ، إِنَّ المعاذيرَ يشوبها الكذب .



واعتذر رجل الى جعفر بن يحيى ، فقال : قد أغناك الله
بالعُذْر عن الاعتذار ، وأغنانا بحُسن النية عن سوء الظن .



وقال إبراهيم الموصلي : سمعت جعفر بن يحيى يعتذر الى رجل من تأخر حاجة ضمّنها له وهو يقول : أحتج إليك بغالب القضاء ، وأعتذرُ إليك بصادق النيّة .

وقال رجل لبعض الملوك : أنا من لا يُحاجّك عن نفسه ، ولا يغالطك في جرمه ، ولا يلتبس رضاك إلاّ من جهة عفوك ، ولا يستعطفك إلاّ بالإقرار بالذنب ، ولا يستميلك إلاّ بالاعتراف بالزلّة .

وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر ، لا سيّما عن غير ذي ناصر
إن كان لي ذنبٌ ، ولا ذنب لي ، فما له غيرك من غافر
أعوذُ بالودّ ، الذي بيننا ، أن يفسد الأوّل بالآخر

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :
أبا جعفرٍ ما أحسن العفوكلّه ، ولا سيّما عن قائل : ليس لي عذر

وقال آخر :

اقبل معاذير من يأتيك مُعتذراً ،
إن برّ عندك فيما قال ، أو فجرّاً

فقد أطاعك مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ ،
وقد أَجَلَّكَ مِنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرًا
خَيْرَ الْخَلِيطِينَ مِنْ أَغْضَى لَصَاحِبِهِ ،
ولو أَرَادَ انتصاراً مِنْهُ لانتصراً

•
وقالت الحكماء : ليس من العدل سُرعة العَدْل .

•
وقال الأحنف بن قيس : رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

•
وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عَذْرَاءٌ وَأَنْتَ تَلُومُ

•
وقال حَبِيب :

الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَسَى الْعَذْرَاءُ عِنْدَكَ لِي ،
فَمَا أَتَاكَ فَلَمْ تَقْبَلْ وَلَمْ تَلْمِ

وقام عِلْمُكَ بِي ، فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي ،
مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

وقال آخر :

إذا اعتذر الجاني مَحَا العُذْرُ ذَنْبَهُ ،
وكلُّ امرئٍ لا يَقْبَلُ العذرَ مُذْنِبٌ

ومن قولنا في هذا المعنى :

عَذِيرِي ، من طُول البُكَاءِ ، لوعةُ الأُسى ،
وليس لِمَنْ لا يَقْبَلُ العُذْرَ من عُدْرٍ

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسِيئاً ، كالذي قُلْتُ ، ظالِماً ،
فَعَفُّوا جَمِلاً كي يَكُونَ لك الفَضْلُ

فإن لم أَكُنْ ، للعَفْوِ عندَكَ للَّذِي
أَتَيْتُ بِهِ ، أَهْلاً ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

ومن الناس من لا يَرى الاعتذارَ ويقول : إِيَّاكَ وَمَا
يُعْتَذِرُ مِنْهُ .

وقالوا : ما اعتذر مُذْنِبٌ إِلَّا ازْدَادَ ذَنْباً .

وقال الشاعر محمود الوراق :

إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بَيِّنَ ،
فَإِنَّ اطِّرَاحَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ

قال ابن شهاب الزُّهري :

دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوَانَ فِي رَجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
فَرَأَيْتُهُمْ سِنًّا ، فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ فَانْتَسَبْتُ لَهُ ؛
فَقَالَ : لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ وَعَمُّكَ نَعَّاقَيْنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الْأَسْعَثِ ؛
فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مِثْلَكَ إِذَا عَفَا لَمْ يَعُدِّدْ ، وَإِذَا
صَفَحَ لَمْ يَشْرَبْ .

فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : أَيْنَ نَشَأْتَ ؟

قُلْتُ : بِالْمَدِينَةِ .

قَالَ : عِنْدَ مَنْ طَلَبْتَ ؟

قُلْتُ : سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَسَلِيمَانُ بْنُ يَسَارَ ، وَقَبِيصَةُ
ابْنِ ذُوَيْبٍ .

قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ؟ فَإِنَّهُ بَحْرٌ لَا
تُكْذِرُهُ الدَّلَاءُ .

فَلَمَّا انْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ أَبَارِحْ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَتَّى مَاتَ .

ودخل ابنُ السَّمَّاكِ على محمد بن سليمان بن عليّ فرآه مُعرضاً
عنه ، فقال : ما لي أرى الأمير كالعاتِبِ عليّ ؟

قال : ذلك لشيءٍ بَلَغني عنك كَرِهتُه .

قال : إِذاً لا أُبالي .

قال : ولم ؟

قال : لأنّه إِذا كان ذَنْباً غفرتَه ، وإن كان باطلاً لم تَقْبَله .



ودخل جريرُ بن عبد الله على أبي جعفر المنصور ، وكان
واجدّاً عليه ، فقال له : تكلّم بِحُجَّتِكَ ؛ فقال : لو كان لي
ذنبٌ تكلّمت بعُذْرِي ، ولكنّ عَفْوَ أمير المؤمنين أحبُّ إليّ
من براءتي .



وأُتِيَ موسى الهادي برجل ، فجعل يُقرّعه بذُنُوبه ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إنّ اعتذاري بما تُقرّعني به ردّ عليك ،
وإقرارِي به يُلْزمني ذنباً لم أَجْنِه ، ولكنّي أقول :

فإن كنتَ تَرَجُو في العقوبة راحةً ،

فلا تَزْهَدْ ، عند المُعافاة ، في الأجرِ .



سُعيّ بعبد الملك بن الفارسيّ إلى المأمون ، فقال له المأمون :

إِنَّ الْعَدْلَ مِنْ عَدْلِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقَدْ كَانَ وَصَفَكَ بِمَا وَصَفَكَ
بِهِ ، ثُمَّ أَتَنِي الْأَخْبَارُ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي تَحْمِيلَ عَلِيٍّ ،
وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقُلْتُ : نَعَمْ ، كَمَا بَلَغَكَ ، فَأَخَذْتُ بِحِطِّي مِنْ
اللَّهِ فِي الصَّدَقِ ، وَاتَّكَلْتُ عَلَى فَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
سَعَةِ عَفْوِهِ .

قَالَ : صَدَقْتَ .

●
مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْهَاشِمِيُّ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ :

كَانَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ الْكَاتِبِ قَدْ تَوَلَّى صَدَقَاتِ الْبَصْرَةِ ،
فَجَارَ فِيهَا وَظَلَمَ ، فَكَثُرَ الشَّاكِي لَهُ وَالِدَّاعِي عَلَيْهِ ، وَوَأْفَى
بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زُهَاءُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ جِلَّةِ الْبَصْرِيِّينَ ،
فَعَزَلَهُ الْمَأْمُونُ ، وَجَلَسَ لَهُمْ مَجْلِسًا خَاصًّا ، وَأَقَامَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ
لِمُنَازَرَتِهِمْ . فَكَانَ بِمَا حُفِظَ مِنْ كَلَامِهِ ، أَنْ قَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ وَلِيِّ الصَّدَقَاتِ سَلِمَ مِنَ النَّاسِ
لَسَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ :
« وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ . »

فَأَعْجَبَ الْمَأْمُونُ جَوَابَهُ ، وَاسْتَجَزَلَ مَقَالَهُ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

محمد بن القاسم الهاشمي أبو العيْناء قال : قال لي أبو
عبد الله أحمد بن أبي دُواد : دخلتُ على الواثق ، فقال لي : ما
زال قومٌ في ثلبك ونقصك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، « لكل امرئٍ منهم ما اكتسبَ
من الإثمِ والذي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، والله
وليَّ جَزَائِهِ ، وعِقَاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلَّ من
كنتَ ناصرَه ، ولا ضاع من كنتَ حافظَه ، فماذا قلتَ لهم
يا أمير المؤمنين ؟

قال : قلتُ أبا عبد الله :

وَسَعَى إِلَيَّ بَعِيبُ عَزَّةَ نِسْوَةٌ ،
جَعَلَ الْإِلَهُ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا



قال أبو العيْناء : قلتُ لأحمد بن أبي دُواد : إنَّ قوماً
تَظَافَرُوا عَلَيَّ .

قال : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . »

قلت : إنهم عَدَدُ وَأَنَا وَاحِدٌ .

قال : « كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ . »

قلت : إن للقوم مَكْرًا .

قال : « ولا يحيقُ المكرُ السيِّئُ إلاَّ بأهله . »

قال أبو العِيناء : فحدَّثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يرى ابن أبي دُوادٍ إلا أن القرآن أنزل عليه .

•

قال : وهجا نَهَارُ بن تَوْسِعة قُتَيْبَةَ بن مُسلم ، وكان وليَّ خُرَاسان بعد يزيد بن المهلب ، فقال :

كانت خُرَاسان أرضاً ، إذ يزيدُ بها ،
وكلُّ بابٍ من الخيَرات مَفْتُوحُ

فبَدَّلَتْ بعده قِرْدًا نَطُوفَ به ،
كأنما وَجْهه بالخلِّ مَنْضُوح

فطلبه فهرب منه ، ثم دخل عليه بكتاب أمِّه ^١ ، فقال له :
ويحك ! بأيَّ وَجْهٍ تَلْتَقاني ؟

قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذُنوبي إليه أكثرُ من
ذُنوبي إليك .

فقرَّبَه وَوصله وأحسنَ إليه .

•

١ امه : أي أم قتيبة .

وأقبل المنصور يوماً راكباً والفرجُ بن فضالة جالسٌ عند
باب الذهب^١ ، فقام الناسُ إليه ولم يَقُمْ ، فاستشاط المنصور
غَيْظاً وَغَضَباً ودعا به ، فقال : ما مَنَعَكَ مِنَ الْقِيَامِ مَعَ النَّاسِ
حِينَ رَأَيْتَنِي ؟

قال : خِفْتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ تَعَالَى لِمَ فَعَلْتَ ، وَيَسْأَلَكَ عَنْهُ
لِمَ رَضِيتَ ، وَقَدْ كَرِهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَسَكَنَ غَضَبُهُ وَقَرَّبَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

يحيى بن أكرم قال :

اني عند المأمون يوماً ، حتى أتني برجل تَرَعَدَ فرائضه ، فلمَّا
مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : كَفَرْتَ نِعْمَتِي وَلَمْ
تَشْكُرْ مَعْرُوفِي .

قال له : يا أمير المؤمنين ، وأين يَقَعُ شُكْرِي فِي جَنْبِ
مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَلَيَّ ؟

فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَيَّ وَقَالَ مَتَمَثِّلًا :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جَدُّ ،
لِكَثْرَةِ مَالٍ ، أَوْ عُلُوِّ مَكَانٍ

١ باب الذهب في بغداد .

لما نَدَبَ اللهُ العِبَادَ لِشُكْرِهِ ،
فَقَالَ : اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانُ^١

ثم التفت إلى الرجل ، فقال له : هَلَا قُلْتَ كما قال أَصْرَمُ
ابنُ حُمَيْدٍ :

رَشَحْتَ حَمْدِي ، حَتَّى إِنِّي رَجُلٌ ،
كُلِّي ، بِكُلِّ ثَنَاءٍ فِيكَ ، مُشْتَغِلٌ^٢

خَوَّلْتَ شُكْرِي مَا خَوَّلْتَ مِنْ نِعَمٍ ،
فَحَرُّ شُكْرِي لَمَّا خَوَّلْتَنِي خَوَّلَ^٣

١ الثقلان : الانس والجن .

٢ رشحت حمدي : تعهدته وقويته وقمت عليه .

٣ خوله الشيء : اعطاه اياه متفضلاً . الخول ، واحد هم خولي : وهم الاماء والعبيد وغيرهم من الحاشية .

الاستعطاف والاعتراف

لما سَخِطَ المهديّ على يعقوبَ بن داود ، قال له : يا يعقوب .
قال : لبّيك يا أمير المؤمنين ، تلبيةً مَكْرُوبٍ لموجدتك .
قال : ألم أرفع من قَدْرِكَ إذ كنتَ وضيعاً ، وأبعد
من ذِكْرِكَ إذ كنتَ خاملاً ، وألبسكَ من نِعْمَتِي ما لم أجد
لك بها يَدَيْنِ من الشكر ، فكيف رأيتَ اللهَ أظهرَ عليك ،
ورددَ إليك منك .

قال : إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديقُ
مُعْتَرِفٍ مُنِيبٍ ، وإن كان مما استخرجته دفائنُ الباغين
فعائِدٌ بفضلك .

فقال : والله لولا الحِنْتُ في دَمِكَ بما تقدّم لك ، لألبستك
منه قَمِيصاً لا تَشُدُّ عليه زِرّاً .

ثم أمر به إلى الحبس . فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير
المؤمنين كَرَمٌ ، والمودة رَحِمٌ ، وأنت بهما جَدِيرٌ .

أخذت الشعراء معنى قول المهدي : لألبستك منه قَمِيصاً لا
تَشُدُّ عليه زِرّاً ، فقال مُعلّى الطائي :

طَوَّقَته بِحُسامٍ طَوَّقَ دَاهِيَةً ، ما يَسْتَطِيعُ عليه شَدَّ أَرْزَارِ

وقال حبيب :

طَوَّقْتَهُ بِالْحُسَامِ طَوَّقَ رَدَّى ، أَغْنَاهُ عَنْ مَسِّ طَوَّقِهِ بِيَدِهِ

ومن قولنا :

طَوَّقْتَهُ بِالْحُسَامِ مُنْصَلِتًا ، آخَرَ طَوَّقٍ يَكُونُ فِي عُنُقِهِ

ولما رَضِيَ الرَّشِيدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ ، أَذِنَ لَهُ بِالْدُّخُولِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ لِي سَبِيلَ الْكَرَامَةِ بِلِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ السَّعْمَةَ بِوَجْهِ الرِّضَا مِنْكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ سُخْطِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ الْمُرْغَبِينَ ^١ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ جَزَاءَ الْمُنْعَمِينَ الْمُتَطَوِّلِينَ ^٢ ، فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، تَشَبَّهَ تَحَرُّجًا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَتَمَنَّى ^٣ تَطَوُّلاً بِالنَّعْمِ ، وَتَسْتَبْقِي الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الصَّنَائِعِ تَفَضُّلاً بِالْعَفْوِ .

ولما ظَفَرَ الْمَأْمُونُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ شَكْلَةَ ، أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : وَلِيَّ

١ المرغبين : من يعطون غيرهم ما يرغبون فيه .

٢ المتطولين : الممتنين ، المنعمين .

٣ تمنى : تنعم .

الثَّارُ مُحْكَمٌ فِي الْقِصَاصِ ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَقَدْ جَعَلَ
اللَّهُ كُلَّ ذَنْبٍ دُونَ عَفْوِكَ ، فَإِنْ صَفَحْتَ فَبَكَرْمِكَ ، وَإِنْ
أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ .

قال المأمون : إني شاورْتُ أبا إسحاق والعبَّاسَ ١ في قَتْلِكَ ،
فأشارا عليَّ به .

قال : أمّا أَنْ يَكُونَا قَدْ نَصَحَاكَ فِي عِظَمِ قَدْرِ الْمُلْكِ ،
وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَةُ السِّيَاسَةِ ، فَقَدْ فَعَلَا ، وَلَكِنَّكَ أُبَيْتَ أَنْ
تَسْتَجْلِبَ النِّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَوَّدَكَ اللَّهُ .

ثم استعبر باكيًّا ؛ قال له المأمون : مَا يُبْكِيكَ ؟

قال : جَدَلًا إِذْ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مَنْ هَذِهِ صِفَتِهِ .

ثم قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ جُرْمِي يَبْلُغُ
سَفْكَ دَمِي ، فَحِلِّمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَفَضَّلْهُ يُبْلَغَانِي عَفْوُهُ ،
وَلِي بَعْدَهُمَا شَفَاعَةُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَحُرْمَةِ الْأَبِّ بَعْدَ الْأَبِّ .

قال المأمون : لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّكَ نَسَبُكَ مَا يُبْلَغُ الصَّفْحُ
عَنْ زِلَّتِكَ ، لَبَلَّغْتُكَ إِلَيْهِ حَسَنُ تَوْصَلُكَ ، وَلَطِيفُ تَنْصَلُكَ .

وَكَانَ تَصَوِّبُ إِبْرَاهِيمَ لِرَأْيِ أَبِي إِسْحَاقَ وَالْعَبَّاسَ الْطِفْ
فِي طَلَبِ الرِّضَا وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ تَخَطُّئِهِمَا .

●

١ أبو إسحاق : المعتصم بن الرشيد . العباس : ابن المأمون .

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : لا تحسبني أغفلت
إجلابك^١ مع ابن المهلب ، وتأيدك لرأيه ، وإيقادك لناره .

قال : يا أمير المؤمنين ، والله لا أجرام قريش إلى رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، أعظم من جرّمي إليك ، ولرحمي
أمسّ من أرحامهم ، وقد قال كما قال يوسف لإخوته :
« لا تشريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين . »

وأنت يا أمير المؤمنين أحقّ وارث لهذه المنّة ومُتمثل لها .
قال : هيهات ، تلك أجرام جاهليّة عفا عنها الاسلام ، وجرّمك
جرّم في إسلامك وفي دار خلافتك .

قال : يا أمير المؤمنين ، فوالله للمسلم أحقّ بإقالة العثرة ،
وعُفوان الزلّة من الكافر ، هذا كتاب الله بيني وبينك ، يقول
الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم » إلى
« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ
المُحْسِنِينَ . » فهي للناس يا أمير المؤمنين سنّة دخل فيها المسلم
والكافر والشريف والمشروف .

قال : صدقت ، اجلس ، ورّيت بك زنادي ، فلا بَرَح
نادماً من القادرين مَنْ أَهْلَكَ أمثالك .

١ إجلابك ، من اجلب القوم : تجمعوا من كل وجه للحرب .

العُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

قَبِضَ مَرُوانُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ مَالَهُ
بِالْفَرَسَانِ^١ ، وَقَالَ : إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ قَطِيعَةَ عَمِّكَ لِأَبِيكَ : إِنِّي
أَقْطَعْتُكَ بُسْتَانِي . وَالبُسْتَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا غَامِرًا ، وَأَنَا مُسْلِمٌ
إِلَيْكَ الْغَامِرَ وَقَابِضٌ مِنْكَ الْعَامِرَ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلَفَكَ الصَّالِحَ لَوْ شَهِدُوا مَجْلِسَنَا
هَذَا كَانُوا شُهُودًا عَلَى مَا ادَّعَيْتَهُ ، وَشُفَعَاءَ فِيما طَلَبْتَهُ ، يَسْأَلُونَكَ
بِإِحْسَانِكَ إِلَيَّ ، مَكافَأَةً إِحْسَانِ سَلَفِي إِلَيْهِمْ ، فَشَفِّعْ فِيْنَا الْأَمْوَاتِ
وَاحْفَظْ مِنَّا الْقَرَابَاتِ ، وَاجْعَلْ مَجْلِسَكَ هَذَا مَجْلِسًا يُلْزِمُ مَنْ
بَعَدَنَا شُكْرَهُ .

قَالَ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ أَجْعَلَهَا طُعْمَةً مِنِّي لَكَ ، لَا قَطِيعَةَ
مِنْ عَمِّكَ لِأَبِيكَ .

قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ .

فَفَعَلَ .

العُتْبِيُّ قَالَ :

أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرُوانَ بِقَطْعِ أَرْزَاقِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ
وَجَوَائِزِهِمْ لِلمَوْجِدَةِ وَجَدَهَا عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ،

١ فرسان : من قرى اصبهان .

فدخل عليه عمرو بن عُتبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أدنى
حقك مُتعب ، وبعضه فادح لنا ، ولنا مع حقك علينا حقٌّ
عليك ، يا كرام سلفنا لسلفك ، فانظر إلينا بالعين التي نظروا
بها إليهم ، وَضَعْنَا بِحَيْثُ وَضَعْنَا الرَّحْمَ مِنْكَ .

قال عبدُ الملك : إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عَطِيَّتِي مَنْ اسْتَعْطَاهَا ، فَأَمَّا
مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَكْتَفِي بِنَفْسِهِ ، فَسَنَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ .
ثم أمر له بعطيَّته .

فبلغ ذلك خالداً فقال : أَبَاحِرْ مَا ن يُهْدِدُنِي ! يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
يَدِهِ بِاسْطَ ، وَعَطَاءُ اللَّهِ دُونَهُ مَبْذُول ، فَأَمَّا عمرو فقد أعطى
مَنْ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ لَهَا .

العُتْبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا طَارِقُ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ قَالَ :

جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُسَوَّدَةِ^١ ، وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ كَثِيرُ الْعِيَالِ
مُتَفَرِّقُ الْمَالِ ، فَجَعَلْتُ لَا أَنْزِلُ قَبِيلَةً مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا
شَهَرْتُ فِيهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَمْرِي لَا يُكْتَمُ ، أَتَيْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ
عَلِيٍّ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ قُرْبَ الْمَغْرِبِ ، فَأَذِنَ لِي وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي ،

١ المسودة : العباسيون ، سموا كذلك لاتخاذهم السواد شعاراً لهم .

فلما صِرْتُ إِلَيْهِ ، قلت : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، لَفَظْتُني البلادَ إِلَيْكَ ،
ودَلَّني فضلكَ عليك ، فَأَمَّا قَبْلَتَي غَانِمًا ، وَإِمَّا رَدَدْتُني سالمًا .
قال : ومن أنت ؟

فانتسبت له ، فَعَرَفَنِي ، وقال : مَرَحِبًا ، اقْعُدْ ،
فتكلَّم غَانِمًا .

قلت : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنَّ الحُرَمَ اللّاقِي أَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ
إِلَيْهِنَ مَعْنَا ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِنَ بَعْدُنَا ، قَدْ خِفْنَا بِخَوْفِنَا ، وَمَنْ
خَافَ خِيفَ عَلَيْهِ .

قال : فاعْتَمَدَ سُلَيْمَانُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَسَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، يَحْقِقُنِ اللَّهُ دِمَاكَ ، وَيَسْتُرُ حُرْمَكَ ،
وَيُسَلِّمَ مَالَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ أَمَكْنِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ
قَوْمِكَ لَفَعَلْتُ .

فَلَمْ أَزَلْ فِي جِوَارِ سُلَيْمَانَ آمِنًا .

وَكُتِبَ سُلَيْمَانُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَمَا بَعْدُ ،
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّا إِنَّمَا حَارَبْنَا بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى عُقُوقِهِمْ ، وَلَمْ
نُحَارِبْنَهُمْ عَلَى أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ دَفَّتْ إِلَيَّ مِنْهُمْ دَافَّةٌ^١ ، لَمْ يَشْهَرُوا

١ الدافعة : الجماعة من الناس .

سلاحاً ، ولم يكثرُوا جَمْعاً ، وقد أحسن الله إليك فأحسِن ،
فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يكتب لهم أماناً ويأمر بإنفاذه
إليّ فليفعل .

فكتب لهم كتاباً منشوراً ، وأنفذه إلى سليمان بن عليّ في
كل من لجأ إليه من بني أمية ، فكان يسمّيه أبو مسلم : كهف الأبقار .

ودخل عبد الملك بن صالح يوماً على الرشيد ، فلم يلبث في
مجلسه أن التفت الرشيد ، فقال مُتمثلاً :

أريد حياته ويريد قتلي ، عذيرك من خليلك من مُرادٍ ١

ثم قال : أما والله لكأنّي أنظر إلى شؤبوبها ٢ قد همع ٣ ،
وعارضها ٤ قد لمع ، وكأنّي بالوعيد قد وقّع ، فأقلع عن
براجم ٥ بلا معاصم ، وجماجم بلا غلاصم ٦ ، فمهلاً مهلاً ، فبي
والله يسهل لكم الوعر ، ويصفو لكم الكدر ؛ وألقت إليكم

١ هذا البيت لعمر بن معد يكرب .

٢ الشؤبوب : الدفعة من المطر .

٣ همع : سال وانصب .

٤ العارض : السحاب المعترض في السماء .

٥ البراجم : مفاصل الاصابع ، الواحدة : برجمة .

٦ الغلاصم : واحدتها غلصمة ، والغلصمة رأس الحلقوم .

الأمورُ مَقَالِيدَ أَرْمَتْهَا ، فَالتَّدَارِكُ التَّدَارِكُ قَبْلَ حُلُولِ دَاهِيَةِ
خَبُوطٍ بِالْيَدِ لَبُوطٍ بِالرَّجْلِ .

قال عبدُ الملك : أَفَدَّأَ مَا تَكَلَّمْتُ أَمْ تَوَّأَمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قال : بَلْ فَدَّأَ .

قال : اتَّقِ اللَّهَ فِي ذِي رَحِمِكَ ، وَفِي رَعِيَّتِكَ الَّتِي اسْتَرَعَاكَ
اللَّهُ ، وَلَا تَجْعَلِ الْكُفْرَ مَكَانَ الشُّكْرِ ، وَلَا الْعِقَابَ مَوْضِعَ
الثَّوَابِ ، فَقَدْ مَحَضْتُ لَكَ النُّصِيحَةَ ، وَأَدَّيْتُ لَكَ الطَّاعَةَ ،
وَشَدَّدْتُ أَوَاخِيَّ مُلْكَكَ بِأَثْقَلِ مَنْ رُكْنِي يَلْمَلِمُ^١ ، وَتَرَكْتُ
عَدُوَّكَ سَبِيلًا تَتَعَاوَرُهُ الْأَقْدَامُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي ذِي رَحِمِكَ أَنْ
تَقْطَعَهُ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَهُ ، إِنَّ الْكِتَابَ لَنَمِيمَةٍ^٢ وَاشِ وَبَغْيِي
بَاغٍ ، يَنْهَشُ اللَّحْمَ ، وَيَلْبَغُ^٣ فِي الدَّمِ ، فَكَمْ لَيْلٍ قَامَ فِيكَ
كَابِدَتُهُ ، وَمَقَامَ ضَيْقٍ فَرَّجْتَهُ ، وَكُنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ أَخُو
بَنِي كِلَابِ :

وَمَقَامٍ ضَيْقٍ فَرَّجْتَهُ ، بِلِسَانِي ، وَمَقَامِي ، وَجَدَلُ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ ، أَوْ فَيَّالُهُ ، زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي ، وَزَحَلَ
فَرَضِي عَنْهُ وَرَحَّبَ بِهِ ، وَقَالَ : وَرِيَّتُ بِكَ زِنَادِي .

•

١ يللمم : جبل

٢ يلغ : يشرب .

والتفت الرشيدُ يوماً الى عبد الملك بن صالح ، فقال : أكُفراً
بالنعمة ، وغدراً بالالإمام ؟

قال : لقد بُؤت^١ إذاً بأعباء الندم ، وسَعَيْت في استجلاب
النِّقَم ، وما ذلك يا أمير المؤمنين إلا بَغْيِي باغٍ نَافِسني فيك
بقَدِيمِ الْوَلَايَةِ ، وحقَّ الْقَرَابَةِ .

يا أمير المؤمنين ، إنك خليفة الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ،
في أُمته ، وأَمِينُهُ على رعيَّتِهِ ، لك عليها فَرَضُ الطَّاعَةِ ، وأداءُ
النَّصِيحَةِ ، ولها عليك التَّشَبُّثُ في حَادِثِهَا ، والعدلُ في حُكْمِهَا .
فقال له هارون : تَضَع لي من لسانك ، وتَرْفَع عليَّ من
جَنَانِكَ بحيث يَحْفَظُ الله لي عليك ، هذا قُمامة كَاتِبِكَ يخبرني بفعلك .
فقال عبدُ الملك : أَحَقَّأ يا قُمامة ؟

قال : نعم ، لقد أَرَدْتَ خَتْلَ أمير المؤمنين والغدرَ بِهِ .
فقال عبدُ الملك : كَيْفَ لَا يَكْذِبُ عَلَيَّ مَنْ خَلْفِي مَنْ
بَهَتَنِي فِي وَجْهِهِ !

قال الرشيد : هذا ابْنُكَ عبد الرحمن شاهدٌ عليك .
قال : يا أمير المؤمنين ، هو بين مأمور أو عاقٍ ، فإن كان
مأموراً فَمَعْدُورٌ ، وإن كان عاقاً فما أخاف من عُقُوقِهِ أَكْثَرَ .

وقال له الرشيد يوماً ، وكان مُعتلاً عليه : أَتُبِقُّونَ^١ بالرقّة ؟
قال : نعم ، ونُبِرَعْتَ ؛ قال له : ما حَمَلَكَ على أن سَأَلْتُكَ
عن مسألة ، فرددتَ عليّ في مسألتين ؟ وأمر به الى الحبس . فلم
يَزَلْ في حَبْسِهِ حتى أَطْلَقَهُ الأَمِين .

إبراهيم بن السّندي قال : سمعتُ عبدَ المَلِكِ بنَ صالح يقول
بعد إخراج المَخلُوع له من الحبس ، وذَكَرَ الرشيد وفِعلَه
به ، فقال :

والله إن المَلِكَ لشيءٌ ما نَوَيْتَه ولا تَمَنَيْتَه ، ولا نَصَبْتَ له
ولا أَرَدْتَه ، ولو أَرَدْتَهُ لَكَانَ إلى أَسْرَعِ من المَاءِ الى الحُدُورِ ،
ومن النارِ إلى يَبَسِ العَرَفِجِ^٢ .

وإني لمَأْخُوذٌ بما لم أَجْنِ ، ومسؤولٌ عما لم أعْرِفْ ؛ ولكن
حين رَأَيْتُكَ قَمِيناً^٣ ، وللخِلَافَةِ خَطِيراً ، ورأى لي يداً
تَنَالُهَا إِذَا مُدَّتْ ، وتَبْلُغُهَا إِذَا بُسِطَتْ ، ونَفْساً تَكْمُلُ
لِخِصَالِهَا ، وتَسْتَحِقُّهَا بِفِعَالِهَا ، وإن كنتَ لم أَجْنِ تِلْكَ الخِصَالَ ،

١ تبقون ، من ابق ولد فلان : كثروا . وأبق البيت : كثر فيه البق . وأريد
بالسؤال المعنى الاول وبالجواب المعنى الثاني .

٢ العرفج : نبات سهلي .

٣ قميناً : حقيقاً .

ولم أَصْطَنِعْ تِلْكَ الْفَعَالَ ، وَلَمْ أَتُرَشَّحْ لَهَا فِي السَّرِّ ، وَلَا أَشْرْتُ
إِلَيْهَا فِي الْجَهْرِ ، وَرَأَاهَا تَحِينُ حَنِينِ الْوَالِدَةِ الْوَالِهَةِ ، وَتَمِيلُ
مِثْلَ الْهَلُوكِ^١ ، خَافَ أَنْ تَرْغَبَ إِلَى خَيْرِ مَرْغَبٍ ، وَتَنْزِعَ
إِلَى أَخْصَبِ مَنَزَعٍ ، وَعَاقِبَنِي عَقَابَ مَنْ سَهَرَ فِي طَلِبِهَا ،
وَجَهَدَ فِي التَّوَسُّلِهَا .

فَإِنْ كَانَ إِذَا حَسِبَنِي أَتَيْ أَصْلَحَ لَهَا وَتَصْلَحَ لِي ، وَأَلِيقَ
بِهَا وَتَلِيقَ بِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِذَنْبٍ جَنَيْتُهُ فَاتُوبَ مِنْهُ ، وَلَا
تَطَاوَلْتُ لَهُ فَأَحْطُ نَفْسِي عَنْهُ .

وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا صَرْفَ لِعِقَابِهِ ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ ،
إِلَّا أَنْ أَخْرُجَ لَهُ مِنْ حَدِّ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحَزْمِ ، فَكَمَا لَا
يَسْتَطِيعُ الْمُضْيَاعُ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَاقِلُ
أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وَسَوَاءٌ عَلَيَّ أَعَاقِبَنِي عَلَى عِلْمِي وَحِلْمِي أَمْ
عَاقِبَنِي عَلَى نَسْبِي وَسُنِّي ، وَسَوَاءٌ عَلَيَّ عَاقِبَنِي عَلَى جَمَالِي أَوْ
عَاقِبَنِي عَلَى مَحَبَّةِ النَّاسِ لِي ، وَلَوْ أَرْدَتْهَا لِأَعَجَلْتَهُ عَنِ التَّفَكُّيرِ ،
وَشَغَلْتَهُ عَنِ التَّدْبِيرِ ، وَلَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْخُطْبِ إِلَّا الْيَسِيرَ .

ابراهيم بن السندي قال : كنت أسير سعيد بن سلم حين
قيل له : إن أمير المؤمنين قد غَضِبَ على رجاء بن أبي الضحاك

الهوك ، من النساء : الفاجرة .

وأمر بأخذ ماله ، فارتاع بذلك وجزع ؛ فقليل له : ما يرُوعك
منه ؟ فوالله ما جعل الله بينكما نسباً ولا سبباً ؛ فقال : بلى ،
النَّعمة نسبٌ بين أهلها ، والطاعة سببٌ مؤكِّد بين الأولياء .

وبعث بعضُ الملوك إلى رجلٍ وجداً عليه ، فلما مثل بين
يديه قال : أيها الأمير ، إنَّ الغضبَ شيطان ، فاستعذ بالله منه ،
وإنما خلِّق العفو للمُذنب ، والتجاوزُ للمُسيء ، فلا تضيقَ عما
وسَّع الرِّعة من حِلْمِكَ وعَفْوِكَ .
فعفا عنه ، وأطلق سبيلَه .

ولما اتهم قتيبةُ بن مسلمُ أبا مِجْلَزٍ على بعض الأمر ، قال :
أصلح الله الأميرَ ، تشبَّت فإن التَّشبُّتَ نصفُ العفو .

قال الحُجَّاجُ لرجلٍ دخل عليه : أنت صاحبُ الكلمة ؟
قال : أبوء بالذَّنْبِ وأستغفرُ ربَّ ، وأسألُ العافية ؛ قال :
قد عَفَوْنَا عَنْكَ .

وأرسل بعضُ الملوك في رجل أراد عُقوبته . فلما مَثَلَ
 بين يديه ، قال : أسألك بالذي أنت بين يَدَيْهِ أَذْلُ مَنْيَ بين
 يديكَ ، وهو على عقابِكَ أَقْدَرُ مِنْكَ على عقابي ، إِلَّا نَظَرْتَ في
 أَمْرِي نَظَرَ مَنْ بُرِّئِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ سَقَمِي ، وَبَرَاءَتِي أَحَبُّ
 إِلَيْهِ مِنْ جُرْئِي .

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجدَ عليه :
 يا امير المؤمنين ، إِنْ الْقُدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِيزَةَ ، وَأَنْتَ تَجِلُّ
 عَنِ الْعُقُوبَةِ ، وَنَحْنُ مُقَرَّرُونَ بِالذَّنْبِ ، فَإِنْ تَعَفُّ عَنِي فَأَهْلُ
 ذَلِكَ أَنْتَ ، وَإِنْ تَعَاقَبْنِي فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنَا .

وأمر معاويةُ بن أبي سُفْيَانَ بِعُقُوبَةِ رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ ،
 فَقَالَ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَضَعَ مِنْي خَسِيسَةً^١
 أَنْتَ رَفَعْتَهَا ، أَوْ تَنْقُضَ مِنْي مَرِيرَةً^٢ أَنْتَ أَبْرَمْتَهَا^٣ ، أَوْ
 تُشَمِّتَ بِي عَدُوًّا أَنْتَ وَقَمْتَهُ^٤ ، إِلَّا أَتَى حِلْمُكَ وَصَفْحُكَ
 عَنِ خَطِئِي وَجَهْلِي .

١ تضع : ضد ترفع . خسيصة : أي نفساً ، او حالة محقرة .

٢ تنقض : تحل . المريرة : طاقة الحبل .

٣ أبرمتها : قتلتها .

٤ وقمته : قهرته .

فقال معاوية : خَلِيًّا عَنْهُ ، إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا يَسَّرَهُ .

وَجَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى رَجُلٍ فَجَفَاهُ وَاطَّرَحَهُ ،
ثُمَّ دَعَا بِهِ لِيَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَرَأَاهُ شَاخِبًا نَاحِلًا ، فَقَالَ لَهُ : مُنْذُ
مَتَى اعْتَلَلْتَ ؟

فَقَالَ : مَا مَسَّنِي سَقَمٌ ، وَلَكِنِّي جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي
الْأَمِيرُ ، وَآلَيْتُ أَنْ لَا أَرْضَى عَنْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
فَأَعَادَهُ إِلَى حُسْنِ رَأْيِهِ .

وَقَعَدَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ لِنُعَيْمِ بْنِ حَازِمٍ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ خَافِيًا
حَاسِرًا ، وَهُوَ يَقُولُ : ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاءِ ، ذَنْبِي أَعْظَمُ
مِنَ الْأَرْضِ .

فَقَالَ الْحَسَنُ : عَلَى رِسْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ،
قَدْ تَقَدَّمْتُ لَكَ طَاعَةً ، وَحَدَّثْتُكَ تَوْبَةً ، وَلَيْسَ لِلذَّنْبِ
بَيْنَهُمَا مَوْضِعٌ ، وَلَئِنْ وَجَدَ مَوْضِعًا فَمَا ذَنْبُكَ فِي الذُّنُوبِ بِأَعْظَمَ
مَنْ عَفَّوْا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَفْوِ .

أَذْنَبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ذَنْبًا إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَعَاتَبَهُ فِيهِ ،
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ حَمَلَ مِثْلَ دَالَتِي ، وَلَبِيسَ
ثَوْبِ حُرْمَتِي ، وَمَتَّ بِمِثْلِ قَرَابَتِي ، اغْتَفِرَ لَهُ فَوْقَ زِلَّتِي .

قال : صدقتَ يا بن عمي ، وصفَح عنه .

•
واعْتَذرَ رجلٌ إلى المأمون من ذنب ، فقال : إني وإن
كانت زلّتي قد أحاطت بِجُرْمَتِي فإن فضلك مُحيط بها ،
وَكَرَمَكَ مَوْقُوفٌ عليها .

أخذه صَريعُ الغواني فقال :

إِنَّ كانَ ذَنْبِي قد أَحاطَ بِجُرْمَتِي ،
فأَحِطْ ، بِذَنْبِي ، عَفْوَكَ المأمولُ

•
دخلَ يَزِيدُ بنُ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ على أَبِي جَعْفَرِ المَنْصُورِ بعدما
كُتِبَ أَمَانُهُ ، فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ إِمَارَتِكُمْ بِكُرٍّ
وَدَوْلَتِكُمْ جَدِيدَةٌ ، فَأَذِيقُوا النّاسَ حَلالوتها ، وَجَنِّبُوهُمْ مَرارتها ،
تَخَفٌ على قُلُوبِهِمْ طاعَتُكُمْ ، وَتُسْرَعٌ إلى أَنْفُسِهِمْ مَحَبَّتُكُمْ ،
وما زِلْتُ مُسْتَبْطِئاً لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ .

فلما قام قال أبو جعفر : عجباً من كل من يأمر بِقَتْلِ هذا !
ثم قَتَلَهُ بعدَ ذلك غَدْرًا .

•
الهِثَمُ بنُ عَدِيٍّ قال :

لما انْهَزَمَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَلِيٍّ مِنَ الشّامِ ، قَدِمَ على المَنْصُورِ

وفدّ منهم ، فتكلّموا عنده ، ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وفدَ مُباهاة ، وإنما نحن وفد توبة ، ابتلينا بفِتنة استخفّت كبريئنا ، واستفزّت حليمننا ، ونحن بما قدّمنا مُعترفون ، وبما سلف منا مُعتذرون ، فإن تعاقبنا فقد أجرمنا ، وإن تعفّ عنا فطالما أحسنت إلى من أساء منا .

فقال المنصور للحرسى : هذا خطيبهم ؛ وأمر بردّ ضياعه عليه بالغوَطة .



قال أحمد بن أبي دُوَاد : ما رأينا رجلاً نزل به الموتُ فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يُحب أن يفعلهُ إلا تميم بن جَمِيل ، فإنه كان تغلّب على شاطئ الفُرات ، وأوفى به الرسولُ بابَ أمير المؤمنين المعتصم في يوم المَوْكَب حين يجلسُ للعامة ، ودخل عليه ، فلما مَثَلَ بين يديه ، دعا بالنّطع والسيف ، فأحضرا ؛ فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً ، وجعل المعتصم يُصعّد النظرَ فيه ويصوّبه ، وكان جسيماً وسيماً ، ورأى أن يستنطقه لينظر

أَيْنَ جَنَازَتِهِ وَلِسَانِهِ مِنْ مَنَظَرِهِ ؛ فَقَالَ : يَا تَمِيمُ ، إِنْ كَانَ
لَكَ عُذْرٌ فَأَتِ بِهِ ، أَوْ حُجَّةٌ فَأَذِلْ بِهَا .

فَقَالَ : أَمَّا إِذَا قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَقُولُ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ
مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ ، وَتَصْدَعُ^١
الْأَفْسِدَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ^٢ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَسَاءَ
الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ انتِقَامُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ
يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنْكَ وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيْكَ أَوْ لَاهِمَا بِإِمَامَتِكَ ،
وَأَشَبَّهَهُمَا بِخِلَافَتِكَ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنُّطْعِ كَامِنًا ،
يُلاحِظُنِي مِنْ حَيْثَا أَتْلَفْتُ^١

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي ،
وَأَيُّ أَمْرٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ ؟

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ ،
وَسَيْفُ الْمَنَایَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ ؟

١ تصدع : تشق .

٢ الجريرة : الجريمة ، الذنب .

يَعِزُّ ، عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ ، مَوْقِفُ
يُسَلُّ عَلَى السِّيفِ فِيهِ ، وَأَسْكُتْ

وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ ، وَإِنِّي
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتْ

وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ ،
وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتْ

كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمْ ،
وَقَدْ خَمَشُوا تِلْكَ الْوُجُوهَ ، وَصَوَّتُوا

فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِبْطَةٍ ،
أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ ، وَإِنْ مِتُّ مُوَّتُوا

فَكَمْ قَائِلٌ : لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ ،
وَأَخْرَجَ جَذْلَانُ يُسْرُ ، وَيَشْمَتُ

قال : فْتَبَسَّمَ الْمُعْتَصِمُ ، وَقَالَ : كَادَ وَاللَّهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ
السِّيفُ الْعَدْلَ ، أَذْهَبَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ الصَّبَاةَ ، وَتَرَكْتُكَ
لِلصَّبَاةِ .

وَحُكِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَدِيَّ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ لَمَّا قَتَلَ
ابْنَهُ : إِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي صَالِحِ خِدْمَتِكَ ، وَمَا تَعَرَّفْنَا مِنْ طَاعَتِكَ ،

وفاءً يجب به الصفحُ عن ولدك ، ما تجاوز أميرُ المؤمنين ذلك
به الى غيره ، ولكنه نكص على عقبيه ، وكفر بربه .

قال أبو عبيد الله : رضانا عن أنفسنا وسُخطنا عليها موصول
برضاك وسُخطك ، ونحن نخدم نِعمتك ، تُشِينا على الإحسان
فنشكرُ ، وتُعاقبنا على الإساءة فنصبر .

أبو الحسن المدائني قال :

لما حجَّ المنصور مرَّ بالمدينة ، فقال للرَّبيع الحاجب : عليَّ
بجعفر بن محمد ، قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ .

فمُطِلَّ به ، ثم ألحَّ عليه فحضر ، فلما كُشف السترُ بينه
وبينه ومثَّل بين يديه ، همَّس جعفرُ بِشَفَتَيْهِ ، ثم تقرب
وسلَّم ؛ فقال : لا سلَّم الله عليك يا عدوَّ الله ، تُعْمِلُ عليَّ
الغوائل في مُلكي ، قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ سُليمان ، صلى الله على محمد وعليه ،
أعطى فشكرَ ، وإنَّ أيوب ابتلي فصبر ، وإنَّ يوسفُ ظلم
فغفِرَ ، وأنت على إرثٍ منهم ، وأحقُّ من تأسَى بهم .

فَنَكَصَ أبو جعفر رأسه مَلِيًّا ، وجعفر واقف ، ثم رفع
رأسه فقال : إِيَّيَّأَ عبد الله ، فأنت القريب القَرابة ، وذو
الرَّحم الواشجة ، السَّليم الناحية ، القليل الغائلة .

ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بِشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرَفَ له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويُسأله ، ثم قال : يا ربيع ، عَجَّلْ لأبي عبد الله كُسوته وجانزته وإذنه .

قال الربيع : فلما حال السَّتر بيني وبينه أمسكتُ بشَوْبِهِ ، فقال : ما أُرانا يا ربيع إلا وقد حُبِسنا .

فقلت : لا عليك ، هذه منِّي لا منه .

فقال : هذه أيسرُ ، سَلْ حاجَتَكَ .

فقلت له : إني منذ ثلاثٍ أدْفَعُ غنكَ وأداري عليك ، ورأيتُكَ إذ دخلتَ هَمَسْتَ بِشَفَتَيْكَ ، ثم رأيتُ الأمرُ انجلى غنكَ ، وأنا خادمُ سلطانٍ ولا غنى لي عنه ، فأحبُّ منك أن تُعَلِّمَنِيهِ .

قال : نعم ؛ قلت : اللهم احْرُسْني بعَيْنِكَ التي لا تنام ، واكْنُفْني بحفظِكَ الذي لا يُرام ، ولا أَهْلِكَ وأنتَ رجائي ، فكم من نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَها عليَّ قلَّ لَكَ عندها شُكْرِي فلم تَحْرِمْني ، وكم من بَلِيَّةٍ ابْتُلِيتُ بها قلَّ عندها صَبْرِي فلم تَتَّخِذْ لَني ، اللهم بك أدْرَأُ في نَحْرِهِ ، وأَسْتَعِيزُ بِخَيْرِكَ مِنْ شَرِّهِ ، فَإِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

المدائني قال :

كان يزيد بن راشد خطيباً ، وكان فيمن دعا إلى خلع
سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد ، فنذر
سليمان قطع لسانه . فلما أفضت الخلافة إليه دخل عليه يزيد
ابن راشد ، فجلس على طرف البساط مفكراً ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ، كنن كنبني الله ، صلى الله عليه وسلم ، ابتلي فصبر ،
وأعطي فشكر ، وقدّر فغفر .

قال : ومن أنت ؟

قال : يزيد بن راشد .

فعفا عنه .

حبس الرشيد رجلاً ، فلما طال حبسه كتب إليه : إن
كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من بُؤسي مثله ، والأمد
قريب ، والحكم لله . فأطلقه .

ومرّ أسد بن عبد الله القسريّ ، وهو والي خراسان ، بدار
من دور الاستخراج ودِهقانٍ يعذب في حبسه ، وحول أسد
مساكين يستجدونه ، فأمر لهم بدراهم تقسم فيهم ؛ فقال
الدّهقان : يا أسد ، إن كنت تُعطي من يُرحم فارحم من
يُظلم ، فإن السموات تنفرج لدعوة المظلوم .

يا أسد ، احذر من ليس له ناصر إلا الله ، واتق من لا
جنة له إلا الابتهال إليه ، إن الظلم مضرعه وخيم ، ولا تغتر
بإبطاء الغيثات من ناصر متى شاء أن يجيب أجاب ، وقد أملى
لقوم ليزدادوا إثماً . فأمر أسد بالكف عنه .

عَتَبَ المأمون على رجل من خاصته ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنّ قديم الحرمة ، وحديث التوبة ، يمحوان ما بينهما من
الإساءة ؛ فقال : صدقت ؛ ورخصي عنه .

وكان ملك من ملوك فارس عظيم المملكة شديد النقمة ،
وكان له صاحب مطبخ ، فلما قرّب إليه طعامه صاحب المطبخ
سقطت نقطة من الطعام على يديه ، فزوى لها الملك وجهه ،
وعلم صاحب المطبخ أنه قاتله ، فكفأ الصحيفة على يديه ؛ فقال
الملك : عليّ به ! فلما أتاها ، قال له : قد علمت أنّ سقوط
النقطة أخطأت بها يدك ، فما عذرك في الثانية ؟

قال : استحييت للملك أن يقتل مثلي في سنّي وقديم
حرمتي في نقطة ، فأردت أن أعظم ذنبي ليحسن به قتلي .
فقال له الملك : لئن كان لطف الاعتذار يُنجيك من القتل ،
ما هو بمنجيك من العقوبة ، اجلدوه مائة جلدة وخلّوه .

الشَّيبَانِي قَالَ :

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمَأْمُونِ حِينَ قَبَضَ
ضِيَاعَهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَيْنَ
يَدَيْكَ ، رَبِيبُ دَوْلَتِكَ ، وَسَلِيلُ نِعْمَتِكَ ، وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ
دَوْلَتِكَ ، أَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : نَسْتَمِعُ اللَّهَ حِيَاطَةَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَرِعَايَةَ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا
بِبَقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَفِي أَثْرِكَ مِنْ
آثَارِنَا ، وَيُقِيقَكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ
بِفَضْلِكَ ، الْهَارِبِ إِلَى كَنْفِكَ وَظِلِّكَ ، الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي حَاجَتِهِ فَقَضَاهَا .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ أَيُّوبَ ، وَكَانَ يَطْلُبُهُ الْحُجَّاجُ لَجِنَايَةِ جَنَاهَا ،
فَهَرَبَ مِنْهُ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

أَذِقْنِي طَعْمَ النَّوْمِ ، أَوْ سَلْ حَقِيقَةَ
عَلِيٍّ ، فَإِنْ قَامَتْ فَفَصِّلْ بِنَانِيَا

خَلَعْتَ فَوَادِي ، فَاسْتَطَارَ ، فَأَصْبَحَتْ
تَرَامِي بِهِ الْبَيْدُ الْقِفَارَ تَرَامِيَا

ولم يقل أحد في هذا المعنى أحسنَ من قول النابغة الذبياني
للشَّعْمان بن المنذر :

أتاني ، أبَيْتَ اللَّعْنَ ، أنك لُمْتَنِي ،
وتلك التي تَسْتَكُّ منها المِسامعُ^١

فَبِتُّ كأنِّي ساوَرْتَنِي ضَيْلَةً^٢
من الرُّقْشِ ، في أنيابِها السَّمُّ نَاقِعٌ^٣

أَكَلَفْتَنِي ذَنْبَ امرئٍ وتركتَه ،
كذِي العُرِّ يُكوى غيرُه وهو راتِعٌ^٤

فإنك كاللَّيْلِ الذي هو مُدْرِكِي ،
وإن خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنك واسعٌ

وقال فيه أيضاً :

ولَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخاً ، لا تَلُمُّهُ
على شَعَثٍ ، أيَّ الرِّجالِ المِهْدَبُ ؟

فإنَّ أَلْكَ مَظْلُوماً ، فَعَبْدُ ظَلَمْتِهِ ؛
وإنَّ تَكَ ذَا عَتَبٍ ، فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ^٤

١ استكت المِسامع : صمت وضاعت .

٢ ساورتني : واثبتني . ضيلة : حية .

٣ العر : الجرب .

٤ يعتب : يرضى .

حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ،
وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي جِنَايَةَ ،
لَمْبُلِّغِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ،
تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

فَإِنَّكَ شَمْسٌ ، وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ،
إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ

•
وقال ابن الطَّيْثَرِيَّة :

فَهَبْنِي امْرَأً إِمَّا بَرِيئاً عَلِمْتَهُ ،
وإِمَّا مُسِيئاً تَابَ مِنْهُ ، وَأَعْتَبَا

وَكُنْتَ كَذِي دَاءٍ يُبَغِّي لِدَائِهِ
طَبِيباً ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبَّبَا

١ السورة : المنزلة الرفيعة والشرف . يتذبذب : يتحرك ، يتردد ، لينها
فلا يستطيع .

وقال المُنَزَّق العَبْدِي لعمرو بن هند :

تَرُوح وتَعْدُو ، ما يُحَلُّ وَضِينُهَا ،
إِلَيْكَ ، ابنَ ماء المَزْن ، وابنَ مُحَرَّقٍ ١

أَحَقًّا ، أَبَيْتَ اللَعْنَ ، أَنْ ابنَ مُزْنِنَا ،
على غَيْرِ إِجْرَام ، بِرِيقِي مُشْرِقِي ؟

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوَلًّا ، فَكُنْ خَيْرَ آكِل ،
وإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ

فَأَنْتَ عَمِيدُ النَّاسِ ، مَهْمَا تَقُلْ نَقُلْ ،
ومَهْمَا تَضَعْ مِنْ بَاطِلٍ لَا يُحَقِّقُ

وتمثّل بهذه الأبيات عثمانُ بن عفان في كتابه الى عليّ بن
أبي طالب يومَ الدار ٢

وكتب محمد بن عبد الملك الزيّات ، لما أحسّ بالموت وهو
في حبس المتوكل ، برقعة الى المتوكل ؛ فيها :

هي السبيلُ ، فَمِنْ يَوْمٍ الى يَوْمٍ ،
كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ الْعَيْنُ فِي النُّومِ

١ الوضين للهودج : بمنزلة الخزام للسرج .

٢ يوم الدار : هو يوم مقتل عثمان بن عفان .

لَا تَعْجَلْنَ ، رُوَيْدًا ، إِنَّهَا دُولٌ ؛
دُنْيَا تَنْقَلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ .

إِنَّ الْمَنَايَا ، وَإِنْ أَصْبَحَتْ ذَا فَرْحٍ ،
تَحُومُ حَوْلَكَ حَوْمًا أَيَّمَا حُومٍ .

فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ وَقَرَأَهَا ، أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ ،
فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَتَبَةَ لِلْمَنْصُورِ وَقَدْ أَرَادَ
عُقُوبَةَ رَجُلٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْإِنْتِقَامَ عَدْلٌ ، وَالتَّجَاوُزَ
فَضْلٌ ، وَالْمُتَفَضِّلُ قَدْ جَاوَزَ حَدَّ الْمُشْصِفِ ، وَنَحْنُ نُعِيدُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَوْ كَسْ^١ النَّصِيبِينَ ، دُونَ أَنْ يَبْلُغَ
أَرْفَعَ الدَّرَجَتَيْنِ .

جَرَى بَيْنَ أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ^٢ وَبَيْنَ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ
يُقَالُ لَهُ شَهْرَامُ كَلَامٍ ، فَقَالَ لَهُ قَائِدُهُ كَلِمَةً فِيهَا بَعْضُ الْغِلَظِ ،
ثُمَّ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَتَضَرَّعُ وَيَتَنَصَّلُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ
لَهُ أَبُو مُسْلِمٍ : لَا عَلَيْكَ ، لِسَانَ سَبَقٍ ، وَوَهْمُ أَخْطَأَ ،

١ أَوْ كَسْ : اخْسَ ، انْقُصْ .

٢ هُوَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .

وإنما الغَضَبُ شَيْطَانٌ ، وأنا جَرَأْتُكَ عَلَيَّ بِطُؤُلِ احْتِمَالِي مِنْكَ ،
فَإِنْ كُنْتَ لِلذَّنْبِ مُتَعَمِّدًا ، فَقَدْ شَارَكْتُكَ فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ
مَغْلُوبًا ، فَإِنَّ الْعُذْرَ يَسْعَعُكَ ، وَقَدْ عَفَوْنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ .
فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ عَفَوَ مِثْلَكَ لَا يَكُونُ غُرُورًا .
قَالَ : أَجَل !

قَالَ : فَإِنَّ عِظَمَ الذَّنْبِ لَا يَدَعُ قَلْبِي يَسْكُنُ .
وَالْحَقُّ فِي الْإِعْتِذَارِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُسْلِمٍ : عَجَبًا لَكَ ، إِنَّكَ
أَسَأْتَ فَأَحْسَنْتَ ، فَلَمَّا أَحْسَنْتَ أَلْسَيْتُ !

دَخَلَ أَبُو دُلْفٍ عَلَى الْمَأْمُونِ ، وَقَدْ كَانَ عَتَبَ عَلَيْهِ ثُمَّ
أَقَالَهُ ، فَقَالَ لَهُ وَقَدْ خَلَا مَجْلِسُهُ : قُلْ أبا دُلْفٍ ، وَمَا عَسَيْتَ
أَنْ تَقُولَ وَقَدْ رَضِيَ عَنْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَغَفَرَ لَكَ مَا فَعَلْتَ ؟
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لِيَا لِي تَدْنِي مِنْكَ بِالْبَشْرِ مَجْلِسِي ،
وَوَجْهُكَ ، مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ ، يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ ، مَرَّةً ،
إِلَيْهَا ، فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ، تَنْظُرُ

قَالَ الْمَأْمُونُ : لَكَ بِهَا رَجُوعُكَ إِلَى الْمُنَاصِحَةِ ، وَإِقْبَالُكَ
عَلَى الطَّاعَةِ ؛ ثُمَّ عَادَ لَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

وقال له المأمون يوماً : أنت الذي تقول :

إِنِّي امرؤٌ كَسِرَوِيُّ الفَعَالِ ،
أَصِيفُ الجِبَالَ ، وَأَشْتُو العِرَاقَا

ما أراك قَدِّمْتَ لحقَّ طاعة ، ولا قضيتَ واجبَ حرمة .
قال له : يا أمير المؤمنين ، إنما هي نِعْمَتُكَ ، ونحن فيها
خَدَمُكَ ، وما هِرَاقَةٌ دَمِي في طاعتِكَ ، إلا بعضُ ما يجبُ لك .
ودخل أبو دُلَفٍ على المأمون ، فقال : أنت الذي يقول
فيكَ ابنُ جَبَلَةَ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ ، بين بَادِيهِ وَمُحْتَضَرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلَفٍ ، وَلَّتِ الدُّنْيَا على أثرِهِ

فقال : يا أمير المؤمنين ، شهادةُ زور ، وكَذِبُ شاعر ،
ومَلَقٌ مُسْتَجِدٌّ ، ولكِنِّي الذي يقول فيه ابنُ أخِيهِ :

ذَرِينِي أَجُوبُ الأَرْضَ فِي طَلَبِ الغِنَى ،
فَمَا الكَرَجُ بالدُّنْيَا ، وَلَا النَّاسُ قَاسِمُ

الكَرَجِ ١ : منزل أبي دُلَفٍ ، وكان اسمه القاسم بن عيسى .

١ الكرج: مدينة بين همدان واصبهان واول من مصرها ابو دلف وجعلها منزله.

وقال المنصور لِمَعْن بن زائدة : ما أظنّ ما قيل عنك
من ظلمك أهل اليمن واعتسافك عليهم إلا حقاً !
قال : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟
قال : بلغني عنك أنك أعطيت شاعراً بيت قاله ألف دينار ،
وأنشده البيت ، وهو :

مَعْن بن زائدة ، الذي زيدت به
فخراً الى فخر ، بنو شيبان

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد أعطيته ألف دينار ، ليس
على هذا البيت ، ولكن على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلماً
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهتد وسنان

قال : فاستحيا المنصور وجعل ينكت بالمخضرة ، ثم رفع
رأسه وقال : اجلس أبا الوليد .

أُتي عبدُ الملك بن مروان بأعرابيٍّ سَرَقَ ، فأمر بقطع يده ،
فأنشأ يقول :

يَدِي ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أُعِذُّهَا
بِعَفْوِكَ ، أَنْ تَلْقَى مَكَاناً يَشِينُهَا

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا ، وَكَانَتْ حَبِيبَةً ،
إِذَا مَا شَمَالِي فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

فَأَنِي إِلَّا قَطَعَهُ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاحِدِي
وَكَاسِي .

قَالَ : بَيْتُ الْكَاسِبِ كَانَ لَكَ ، وَهَذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ .
قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اجْعَلْهُ مِنْ بَعْضِ ذُنُوبِكَ الَّتِي
تَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا .

فَعَفَا عَنْهُ .

تذكير الملوك بنمام متقدم

قال ثُمَامَةُ بن أَشْرَسَ للمأمون لما صارت إليه الخِلافة : إنه كان لي أَمَلَانِ : أَمَلٌ لَكَ وَأَمَلٌ بَكَ ، فَأَمَّا أَمَلِي لَكَ فَقَدْ بَلَغْتُهُ ، وَأَمَّا أَمَلِي بَكَ فَلَا أَذْرِي مَا يَكُونُ مِنْكَ فِيهِ .
قال : يَكُونُ أَفْضَلَ مَا رَجَوْتَ وَأَمَلْتُ .
فَجَعَلَهُ مِنْ سُمَّارِهِ وَخَاصَّتِهِ .

الأَصْمَعِيُّ قال : لما مات يَزِيدُ بن عبد الملك وصارت الخِلافة إلى هِشَامِ بن عبد الملك ، خَرَّ أَصْحَابُهُ سُجُوداً إِلَّا الْأَبْرَشَ الْكَلْبِيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبْرَشُ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ كَمَا سَجَدُوا ؟

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّكَ ذَهَبْتَ عَنَّا وَتَرَكْتَنَا .

قال : فَإِنْ ذَهَبْتُ بِكَ مَعِي ؟

قال : أَوْتَفْعَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

قال : نَعَمْ .

١ هو كاتب هشام ، واسمه سعيد بن جبلة .

قال : فالآن طاب السجود .

ثم سجد .

ولما صارت الخلافة الى أبي جعفر كتب إليه رجلٌ
من إخوانه :

إِنَّا بِطَانَتُكَ ، الألى كُنَّا نكابد ما تكابد
ونرى ، فنُعْرِفُ بِالْعَدَاوةِ ، والبِعَادِ لِمَنْ تَبَاعَدُ
ونَبِيْتُ ، مِنْ شَفَقٍ عَلَيْكَ ، رُبِيئَةً ، والليلُ هاجِدٌ
هَذَا أَوْانُ وفاءٍ ما سَبَقَتْ بِهِ ، مِنْكَ ، المَوَاعِدِ

فَوَقَّعَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا : صدقتَ صدقتَ ؛ ثم
دعا به وألحقهُ بخاصته .

وقال حبيب الشاعر^٢ في هذا المعنى :

وإن أولى الموالى أن تُواسِيَهُ ،
عند الشُّرُورِ ، لَمَنْ واساك في الحَزَنِ
إنَّ الكِرَامَ ، إذا ما أسهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ ، في المَوْطَنِ الحَشَنِ

١ الشفق : الخوف . الربیئة : الطليعة من الجيش .

٢ هو حبيب الطائي ، ابو تمام .

حسن التخلص من السلطان

أبو الحسن المدائني قال : كان العباس بن سهل والي المدينة لعبد الله بن الزبير ، فلما بايع الناس عبد الملك بن مروان ، ولّى عثمان بن حيّان المرّي ، وأمره بالغِلظة على أهل الظنّة ، فعرض يوماً بذِكر الفتنة وأهلها ، فقال له قائل : هذا العباس ابن سهل على ما فيه ، كان مع ابن الزبير وعمل له .

فقال عثمان بن حيّان : ويّلي عليه ، والله لأقتلنه !

قال العباس : فبلغني ذلك ، فتغيّبت حتى أضربّ بي التغيّب ، فأثيتُ ناساً من جُلُساته ، فقلت لهم : ما لي أخاف وقد أمّني عبدُ الملك بن مروان ؟

فقالوا : والله ما يذكرك إلا تغيّظ عليك ، وقلّنا كلّم على طعامه في ذنب إلا انبسط ، فلو تنكّرت وحضرت عشاءه وكلمته .

قال : ففعلتُ ، وقلت على طعامه وقد أتى بجفنة ضخمة ذات ثريد ولحم : والله لكأنّي أنظرُ الى جفنة حيّان بن معبد والناس يتكاوسون^١ عليها ، وهو يطوف في حاشيته ،

١ يتكاوسون : يتراحمون .

يَتَفَقَّدُ مَصَالِحَهَا ، يَسْجُبُ أُرْدِيَةَ الْحُزِّ ، حَتَّى إِنَّ الْحَسَّكَ
لَيَتَعَلَّقُ بِهِ فَمَا يُمِيطُهُ ١ ، ثُمَّ يُؤْتِي بِجَفْنَةٍ تَهَادِي بَيْنَ أَرْبَعَةٍ ، مَا
يَسْتَقِلُّونَ بِهَا إِلَّا بِمَشَقَّةٍ وَعَنَاءٍ ، وَهَذَا بَعْدَمَا يَفْرُغُ النَّاسُ
مِنَ الطَّعَامِ وَيَتَنَحَّوْنَ عَنْهُ ، فَيَأْتِي الْحَاضِرُ مِنْ أَهْلِهِ وَالطَّارِئُ
مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ ، وَمَا بِأَكْثَرِهِمْ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى الطَّعَامِ ، وَمَا
هُوَ إِلَّا الْفَخْرُ بِالْدَنُوِّ مِنْ مَائِدَتِهِ وَالْمُشَارَكَةُ لِيَدِهِ .

قال : هَيْهَ ، أَنْتَ رَأَيْتَ ذَلِكَ ؟

قلتُ : أَجَلُ وَاللَّهِ !

قال لي : وَمَنْ أَنْتَ ؟

قلت : وَأَنَا آمِنٌ ؟

قال : نَعَمْ .

قلت : الْعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ .

قال : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، أَهْلَ الشَّرَفِ وَالْحَقِّ .

قال : فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ أَوْجَهَ

مَنِي عِنْدَهُ .

فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : أَنْتَ رَأَيْتَ حِيَّانَ بْنَ مَعْبُدٍ يَسْجُبُ

أُرْدِيَةَ الْحُزِّ وَيَتَسَكَّوْسُ النَّاسَ عَلَى مَائِدَتِهِ ؟

١ يُمِيطُهُ : يَزِيلُهُ .

فقال : والله لقد رأيته ونزلنا ذلك الماء وغشينا وعليه
عباءة ذكوانية^١ ، فلقد جعلنا ندوده عن رحلنا مخافة
أن يسرقه .

أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سراقه بن
مرداس أسيراً يوم جبانة السبيع^٢ ، فقدم في الأسرى الى
المختار ، فقال سراقه :

امنن عليّ اليوم ، يا خير معدّ ،
وخير من لبى وصلى وسجد

فعفا عنه المختار وخلص سبيله . ثم خرج مع إسحاق بن
الأسعث ، فأتي به المختار أسيراً ، فقال له : ألم أعفُ عنك
وأمنن عليك ؟ أما والله لأقتلنك !

قال : لا والله لا تفعل إن شاء الله .

قال : ولم ؟

قال : لأن أبي أخبرني أنك تفتح الشام حتى تهدم مدينة
دمشق حجراً حجراً وأنا معك ، ثم أنشده :

١ لعلها منسوبة الى نوع من الصوف المنسوج .

٢ جبانة السبيع : بالكوفة . وكان بها يوم للمختار بن عبيد .

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّا
حَمَلْنَا حَمْلَةً ، كَانَتْ عَلَيْنَا^١

خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعْفَاءَ شَيْئًا ،
وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطَرًا وَحِينًا

تَرَاهُمْ فِي مَصَفِّهِمْ قَلِيلًا ،
وَهُمْ مِثْلُ الدَّبِيِّ لَمَّا التَّقِينَا^٢

فَأَسْجِحْ ، إِذْ قَدَرْتُ ، فَلَوْ قَدَرْنَا
لَجَبَرْنَا فِي الْحُكُومَةِ ، وَاعْتَدَيْنَا^٣

تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي ، فَإِنِّي
سَأَشْكُرُ ، إِنْ جَعَلْتَ النِّقْدَ دَيْنًا

قال : فدخلني سبيله ، ثم خرج إسحاق بن الأشعث ومعه
سُرَاقَة ، فأخذ أسيراً وأُتِيَ به المختار ؛ فقال : الحمد لله الذي
أمكنني منك يا عدو الله ، هذه ثالثة .

فقال سُرَاقَة : أما والله ما هؤلاء الذين أخذوني ، فأين هم

١ ابو اسحاق : كنية المختار .

٢ الدبي ، واحدها دبابة : اصغر الجراد ، النمل .

٣ أسجح : أحسن العفو .

لا أراهم؟ إِنَّا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض ، وتحتهم
خيل بُلق تطير بين السماء والأرض .

فقال المختار : خلّوا سبيله ليخبرَ الناس ؛ ثم دعا
لِقِتاله فقال :

ألا أَبْلِغْ أبا إِسْحاقَ أَنِّي
رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهِمًا ، مُصْمِتَاتٍ ١

أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَاهُ ،
كِلَانَا عَالَمٍ بِالتُّرَّهَاتِ ٢

كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا
عَلَيَّ قِتَالَكُمْ ، حَتَّى الْمَمَاتِ

كان مَعْنُ بنُ زائدة قد أمر بقتل جماعة من الأسرى ،
فقام إليه أصغر القوم ، فقال له : يا معن ، أتقتل الأسرى
عطاشاً ؟

فأمر لهم بالماء ، فلما سُقُوا قال : يا معن ، أتقتلُ ضيفانك ؟
فأمر معن بإطلاقهم .

١ الدهم : السود . المصمات : التي لا يخالط لونها لون آخر .

٢ الترهات : الإباطيل .

لما أُتي عمر بن الخطاب بالهُرْمزان أسيراً دعاه الى الاسلام ،
فأبى عليه ، فأمر بقتله ، فلما عُرِضَ عليه السيف ، قال :
لو أمرت لي يا أمير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلي
على الظمأ .

فأمر له بها ، فلما صار الإيذاء بيده ، قال : أنا آمن
حتى أشرب ؟

قال : نعم .

فألقي الإيذاء من يده ، وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين
نور أبلج .

قال : لك التوقف حتى أنظرَ في أمرك ، ارفعا عنه السيف .
فلما رُفِعَ عنه ، قال : الآن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فقال له عمر : ويحك ! أسلمتَ خيرَ إسلام ؛ فما أخَّرك ؟
قال : خشيت يا أمير المؤمنين أن يُقال إن إسلامي إنما كان
جزعاً من الموت .

فقال عمر : إنَّ لفارسَ حُلوماً بها استحققت ما كانت فيه
من المُلْك .

ثم كان عمر يُشاوره بعد ذلك في إخراج الجيوش الى أرض
فارس ويعمل برأيه .

لما أتى الحجاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر
بقتلهم ، فقال رجل : أصلح الله الأمير ، إن لي حُرمة .

قال : وما هي ؟

قال : ذُكِرْتَ في عَسْكَر ابن الأشعث فشُتِمْتَ في
أبويك ، فعَرَضْتَ دونهما ، فقلت : لا والله ما في نَسَبه مَطْعَن ،
فقولوا فيه ودَعُوا نَسَبه .

قال : ومن يَعْلَم ما ذُكِرْتَ ؟

فالتفتُ الى أقرب الأسرى إليّ ، فقلتُ : هذا يَعْلَمه .

قال له الحجاج : ما تقول فيما يقول ؟

قال : صَدَق ، أصلح الله الأمير ، وَبَرَّ .

قال : خَلِّيا عن هذا لنُصْرته وعن هذا لِحِفْظ شهادته .



عمرو بن بَحر الجاحظُ قال : أتى رَوْح بن حاتم برجل كان
مُتَلَصِّصاً في طريق الرِّقَاقِ ١ فأمر بقتله ؛ فقال : أصلح الله
الأمير ، لي عندك يدٌ بيضاء .

قال : وما هي ؟

قال : إِنَّكَ جِئْتَ يوماً الى مَجْمَع موالينا بني نَهْشل والمجلس

١ الرقاق : موضع في جبل بمكة يقال له عامر .

مُحْتَفِل ، فلم يَتَحَقَّنْ^١ لك أحد ، فقُمْتُ من مكاني حتى جلست فيه ، ولولا مَحْضُ كَرَمِكَ ، وشَرَفُ قَدْرِكَ ، ونَبَاهَةُ أَوْلِيَّتِكَ ، ما ذَكَرْتُكَ هذه عند مثل هذا .

قال ابنُ حاتم : صدق ؛ وأمر بإطلاقه ، وولاه تلك الناحية وضمَّنه إياها .

ولما ظَفِرَ المأمون بأبي دُلَف ، وكان يَقْطَع في الجبال ، أمر بضَرْبِ عنقه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، دَعْنِي أَرْكِع رَكَعَتَيْنِ .

قال : افعل .

فرَكَعَ وحَبَّرَ أبياتاً ، ثم وقف بين يديه فقال :
بِيعْ بِي النَّاسَ ، فَإِنِّي خَلَفْتُ مِمَّنْ تَبِيعُ
وَاتَّخِذْنِي لَكَ دِرْعاً ، قَلَصْتُ عَنْهُ الدُّرُوعَ^٢
وَارْمِ بِي كُلَّ عَدُوٍّ ، فَأَنَا السَّهْمُ السَّرِيعُ
فَأُطْلِقْهُ وولاه تلك الناحية ، فأصلحها .

١ يتحفظ : يستقل على رجليه ، لا يستوي قائماً .

٢ قلصت : قصرت .

أُتي معاوية يومِ صَفِّينَ بأسيرٍ من أهل العراق ، فقال : الحمدُ
لله الذي أمكنني منك .

قال : لا تتقل ذلك يا معاوية ، فإنها مُصيبة .

قال : وأي نعمة أعظم من أن أمكنني الله ، عزّ وجل ،
من رجل قتل جماعةً من أصحابي في ساعة واحدة ؟ اضرب
عُنقه يا غلام .

فقال الأسير : اللهم اشهد أنّ معاوية لم يقتلني فيك ،
وانّك لا ترضى بقتلي ، وإنما يقتلني في الغلبة على حطام هذه
الدنيا ، فإن فعل فافعل به ما هو أهله ، وإن لم يفعل فافعل
به ما أنت أهله .

قال له : ويحك ! لقد سببت فأبلغت ، ودعوت فأحسنت ،
خلفيا عنه .

وأمر مُصعبُ بن الزُّبير برجلٍ من أصحاب المختار أن
يُضرب عُنقه ؛ فقال : أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم
القيامة الى صورتك هذه الحسنّة ، ووجهك هذا الذي يُستضاء
به ، فأتعلّق بأطرافك ، وأقول : أي رب ، سلّ هذا فيم قتلني .
قال : أطلّقه فإني جاعل ما وهبت له من حياته في
خفض ، أعطوه مائة ألف .

قال الأسير : بأبي أنت وأُمي ، أشهد أن لابن قيس الرقيات
منها خمسين ألفاً .

قال : ولم ؟

قال : لقوله :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ اللَّهِ ،
تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

مُلْكُهُ ، مُلْكُ عِزَّةٍ ، لَيْسَ فِيهِ
جَبْرُوتٌ مِنْهُ ، وَلَا كِبْرِيَاءُ

يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ ، وَقَدْ أَفْلَحَ
مَنْ كَانَ ، هَمَّهُ ، الْإِتْقَاءُ

أمر عبدُ الملك بقتل رجل ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك
أعزُّ ما تكون أحوجُّ ما تكون إلى الله ؛ فغفا عنه .

أُتي الحجاجُ بأسرى من الخوارج ، فأمر بضرب أعناقهم ،
فقدَّم فيهم شاب ، فقال : والله يا حجاج لئن كُنَّا أسأنا في
الذَّنْبِ فما أَحْسَنْتَ في العَفْوِ .

فقال : أفٍّ لهذه الجِيفِ ، ما كان فيهم من يقول مثلَ هذا !
وأَمْسَكَ عَنِ الْقَتْلِ .

وأُتي الحجاج بأُسرى فأمر بقتلهم ، فقال له رجل منهم :
 لا جزاك الله يا حجاج عن السنة خيراً ، فإن الله تعالى يقول :
 « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا
 أَتَخَنَّنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً . »
 فهذا قول الله في كتابه . وقد قال شاعرُكم فيما وصف به
 قومه من مكارم الأخلاق :

وما نقتل الأُسرى ، ولكن نفكّهم ،
 إذا أثقل الأعناق حملُ القلائدِ

فقال الحجاجُ : ويحكم ! أعجزتم أن تُخبروني بما أخبرني
 هذا المنافق !
 وأمسك عمن بقي .

الهيثمُ بن عديّ قال : أُتي الحجاج بحروريّة ، فقال لأصحابه :
 ما تقولون في هذه ؟

قالوا : اقتلها ، أصلح الله الأمير ، ونكّل بها غيرها .
 فتبسّمت الحروريّة ؛ فقال لها : لم تبسّمت ؟
 فقالت : لقد كان وزراء أخيك فرعون خيراً من وُزرائك

يا حجاج ، استشارهم في قَتْل موسى ، فقالوا : أَرْجِهْ^١ وأخاه ،
وهؤلاء يَأْمُرُونَكَ بِتَعْجِيلِ قَتْلِي .
فَضَحِكَ الحَجَّاجُ ، وأمر بإطلاقها .

وقال معاوية ليونس الثَّقَفِي : اتَّقِ اللهَ ، لأَظَيِّرَنَّكَ طِيْرَةً
بَطِيئًا وَقُوْعُهَا .

قال : أليسَ بي وبك المَرْجِعُ الى الله ؟

قال : نعم .

قال : فاستغفر الله .

ودَخَلَ رجلٌ من بني مَخْزُومٍ على عبد الملك بن مَرْوان ،
وكان زَبِيرِيًّا ، فقال له عبدُ الملك : أليسَ الله قد رَدَّكَ
على عَقْبَيْكَ ؟

قال : ومن رُدَّ إِلَيْكَ يا أمير المؤمنين فقد رُدَّ على عَقْبَيْهِ ؟
فسَكَتَ عبدُ الملك وعَلِمَ أنها خطأ .

دَخَلَ يزيدُ بن أبي مُسْلِمٍ على سليمان بن عبد الملك ، فقال له
سليمان : على امرئٍ أَمْرُكَ وَجَرُّكَ وَسَلْطَتُكَ على الأُمَّةِ لعنةُ

١ أَرْجِهْ : مسهل أَرْجئه ، والارْجاء التأجيل ، والتأخير .

الله ، أَتَظُنُّ الْحِجَّاجَ اسْتَقَرَّ فِي قَعَرِ جَهَنَّمَ أَمْ هُوَ يَهْوِي فِيهَا ؟
قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْحِجَّاجَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ
أَخِيكَ وَأَبِيكَ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ سَثَتْ .



وقال عُبيدُ اللهِ بن زيادَ لِقَيْسِ بن عَبَّادَ : مَا تَقُولُ فِيَّ
وَفِي الْحُسَيْنِ ؟

قال : أَعْفِنِي عَافَاكَ اللهُ .

قال : لَا بُدَّ أَنْ تَقُولَ .

قال : يَجِيءُ أَبُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَشْفَعُ لَهُ وَيَجِيءُ أَبُوكَ
فَيَشْفَعُ لَكَ .

قال : قَدْ عَلِمْتَ غِشَّكَ وَخُبْثَكَ ، لَنْ فَارَقْتَنِي^١ يَوْمًا
لَأُضَعَنَّ أَكْثَرَكَ شَعْرًا^٢ بِالْأَرْضِ .



الأَصْمَعِيُّ قال : بَعَثَ الْحِجَّاجُ إِلَى يَحْيَى بن يَعْمَرَ ، فَقَالَ
لَهُ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ : إِنَّ الْحُسَيْنِ بن عَلِيٍّ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ،
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ابْنُ رَسُولِ اللهِ ، لَتَأْتِيَنِي بِالْمَخْرَجِ مِمَّا
قُلْتَ أَوْ لَأُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ .

١ فَارَقْتَنِي : بَعَدْتَ عَنِّي ، وَخَرَجْتَ عَن طَاعَتِي .

٢ أَي رَأْسِكَ ، أَرَادَ أَنَّهُ يَقْطَعُ رَأْسَهُ .

فقال له ابنُ يَعْمُرَ : وَإِنْ جِئْتُ بِالْمَخْرُجِ فَأَنَا آمِنٌ ؟

قال : نعم .

قال : اقرأ : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ . »

إلى قوله : « وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَمُوسَى . » إلى قوله : « وَعِيسَى . » فمن أقرب : عيسى من

إبراهيم ، وما هو ابنُ بنته ، أو الحسين من محمد ، صلى الله

عليه وسلم ؟

فقال له الحجاج : والله لكأنى ما قرأتُ هذه الآية قط ،

وولاه قضاء بلده . فلم يزل به قاضياً حتى مات .



أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قال : دخل عبدُ الرحمن بن أبي

ليلى على الحجاج ، فقال لجلسائه : إن أردتم أن تنظروا إلى

رجل يَسُبُّ أميرَ المؤمنين عُثْمَانَ بنَ عَفَّانٍ فهذا عندكم ،

يعني عبدَ الرحمن .

فقال عبدُ الرحمن : معاذ الله أيها الأمير أنْ أَكُونَ أَسْبَ

أَمِيرَ المؤمنين ، إنه لَيْسَ حِجْزِي عَنِ ذَلِكَ ثَلَاثُ آيَاتٍ فِي كِتَابِ

الله ، قال الله تعالى : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ

دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضواناً وَيَنْصُرُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . » فكان عثمان منهم .

ثم قال : « والذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . » فكان أبي منهم .

ثم قال : « والذين جاؤوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . » فكنتُ أنا منهم .

فقال : صدقت .



أبو عوانة عن عاصم بن أبي وائل قال : بَعَثَ إِلَيَّ الْحُجَّاجُ

فقال لي : ما اسمُكَ ؟

قلتُ : ما أُرسل إِلَيَّ الأَمِيرُ حتَّى عَرَفَ اسمي .

قال : متى هَبَطْتَ هَذَا الْبَلَدَ ؟

قلت : حين هَبَطَ أَهْلُهُ .

قال : ما تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟

قلتُ : أَقْرَأُ مِنْهُ مَا لَوْ تَبِعْتَهُ كَفَانِي .

قال : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَعِينَ بِكَ فِي عَمَلِي .

قلت : إِنَّ تَسْتَعِينَ بِي تَسْتَعِينَ بِكَبِيرٍ أَخْرَقَ ضَعِيفَ

يَخَافُ أَعْوَانَ السُّوءِ ، وَإِنْ تَدْعُنِي فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ ، وَإِنْ

تُقَحِّمَنِي أَتَقَحِّمَهُمْ .

قال : إِنْ لَمْ أَجِدْ غَيْرَكَ أَقْحَمْتُكَ ، وَإِنْ وَجَدْتُ غَيْرَكَ
لَمْ أَقْحَمَكَ .

قلتُ : وَأُخْرَى ، أَكْرَمَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ مَا عَلِمْتَ النَّاسَ
هَابُوا أَمِيرًا قَطٌّ هَيْبَتُهُمْ لَكَ ، وَاللَّهُ إِنْ لَأَتَعَارَّ^١ مِنْ اللَّيْلِ فَمَا
يَأْتِينِي النَّوْمُ مِنْ ذِكْرِكَ حَتَّى أَصْبَحَ ، هَذَا وَلَسْتُ لَكَ عَلَى عَمَلٍ .
قال : هَيْهَ ، كَيْفَ قُلْتَ ؟
فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ .

فَقَالَ : إِنْ وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ خَلْقًا هُوَ أَجْرًا
عَلَى دَمٍ مِنِّي ، أَنْصَرَفَ .
قال : فَقُمْتُ فَعَدَلْتُ عَنْ الطَّرِيقِ كَأَنِّي لَا أَبْصِرُ ؛ فَقَالَ :
أَرْشِدُوا الشَّيْخَ .

لَمَّا أَتَى الْحِجَااجُ بِأَسْرَى الْجَمَاجِمِ^٢ أَتَى فِيهِمْ بَعَامِرَ الشَّعْبِيِّ ،
وَمُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الشَّخَّيرِ ، وَسَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ، وَكَانَ
الشَّعْبِيُّ وَمُطَرِّفُ يَرْيَانَ التَّقِيَّةَ ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ لَا
يَرَاهَا ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ كِتَابَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحِجَااجِ

١ التَّعَارُ : السَّهَرُ وَالتَّقَابُ عَلَى الْفَرَاشِ لِلَّامِ مَعَ كَلَامٍ .

٢ الْجَمَاجِمُ : أَيِ دِيرِ الْجَمَاجِمِ ، مَوْضِعٌ بظَاهِرِ الْكُوفَةِ كَانَتْ الْوَقْعَةُ فِيهِ بَيْنَ
الْحِجَااجِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَكَسَرَ فِيهَا ابْنُ الْأَشْعَثِ .

في أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف ، فمن أقرّ منهم بالكفر في خروجهم علينا فيُخلّي سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه ، فقال الحجاج للشعيّ : وأنت ممن ألّب علينا مع ابن الأشعث ؟ أشهد على نفسك بالكفر .

فقال : أصلح الله الأمير ، نبا بنا المنزل ، وأحزن بنا الجناب ، واستحلّسنا الخوف ، واكتحلّنا السهر ، وخبّطنا فتنة لم نكن فيها برّة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء .

قال : لله أبوك ، لقد صدقت ، ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم ، خلّثوا سبيل الشيخ .

ثم قال لمطرّف : أتقرّ على نفسك بالكفر ؟

قال : أصلح الله الأمير ، إن من شقّ العصا ، وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين ، جديرٌ بالكفر .

فخلّى سبيله . ثم قال لسعيد بن جبّير : أتقرّ على نفسك بالكفر ؟

قال : ما كفرت منذ آمنت بالله .

فضرب عنقه . ثم استعرض الأسرى ، فمن أقرّ بالكفر

١ استحلّسنا الخوف : لزمنا ولم يفارقنا .

خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَمَنْ أَبِي قَتْلَهُ ، حَتَّى أَتَى بِشَيْخٍ وَشَابٍّ ، فَقَالَ
لِلشَّابِّ : أَكَاْفِرُ أَنْتَ ؟

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : لَكِنَّ الشَّيْخَ لَا يَرْضَى بِالْكَفْرِ .

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : أَعَنْ نَفْسِي تُخَادِعُنِي يَا حِجَّاجُ ؟ وَاللَّهِ لَوْ
عَلِمْتُ أَعْظَمَ مِنَ الْكُفْرِ لَقَتَلْتُهُ .

فَضَحِكَ الْحِجَّاجُ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

فَلَمَّا مَاتَ الْحِجَّاجُ ، وَقَامَ سُليْمَانُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

لَئِنْ نَفَرَ الْحِجَّاجَ آلُ مُعْتَبٍ ،
لَقُومُوا دَوْلَةً كَانَ الْعَدُوُّ يُدَاهِلُهَا^١

لَقَدْ أَصْبَحَ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ أَذَلَّةً ،
وَمَوْتَاهُمْ فِي النَّارِ ، كُنُوحًا سِبَالِهَا^٢

وَكَانُوا يَرَوْنَ الدَّائِرَاتِ بَغْيَهُمْ ،
فَصَارَ عَلَيْهِمُ بِالْعَذَابِ انْفِتَالُهَا

١ آلُ مُعْتَبٍ : رَهْطُ الْحِجَّاجِ . يُدَاهِلُهَا ، مِنْ أَدَالِ اللَّهِ هَذَا مِنْ ذَاكَ : نَزَعَ الدَّوْلَةَ
مِنْ ذَاكَ وَحَوَّلَهَا إِلَى هَذَا .

٢ السِّبَالُ ، وَاحِدَتُهَا سِبْلَةٌ : مَا عَلَى الشَّارِبِ مِنَ الشَّعْرِ .

أَلِكنِّي إلى من كان بالصين، أَوْ رَمَتْ
به الهِنْدَ الْوُاحِ ، عليها جِلالها^١
هَلُمَّ إلى الاسلام، والعَدْلُ عِنْدنا،
فقد مات عن أهل العراق خِباها



لما وَلِيَ سُلَيْمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن :
اجمع يَدَي عَدِيَّ بن الرِّقَاع إلى عُنْقهِ وابعث به إِلَيَّ على قَتَب
بلا وطاء^٢ ، ووَكِّل به من يَشْخُس به .
ففعِل ذلك . فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك أُلقي بين
يديه وهو لقي^٣ لا حَرَاكَ فيه ولا رُوح ، فتركه حتى ارتدَّ
إليه رُوحه ، ثم قال له : أنت أَهْلٌ لما نزل بك ، أَلستَ القائلَ
في الوليد :

مَعاذ ربي أَن نَبَقِيَ وَنَفَقَدَهُ ،
وَأَن نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعًا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قلتُ ،
وإنما قلت :

١ أَلِكنِّي : أبلغ رسالتي . الالواح : اراد بها السفن . الجلال ، واحدها جل :
شراع السفينة .

٢ القتب : الرجل . الوطاء : ما يفتش .

٣ اللقي : الشيء المطروح .

مَعَاذَ رَبِّيَ أَنْ نَبْقَى وَنَفْقِدَهُمْ ،
وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُمْ تَبَعًا

فَنَظَرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ وَاسْتَضْحَكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

العُتْبِيُّ قَالَ : كَانَ بَيْنَ شَرِيكَ الْقَاضِي وَالرَّبَّيعِ حَاجِبُ
الْمَهْدِيِّ مُعَارَضَةٌ ، فَكَانَ الرَّبَّيعُ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْمَهْدِيَّ ، فَلَا
يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، حَتَّى رَأَى الْمَهْدِيَّ فِي مَنَامِهِ شَرِيكًا الْقَاضِي مَصْرُوفًا
وَجْهَهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ دَعَا الرَّبَّيعَ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ
رُؤْيَاهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ شَرِيكًا يُخَالِفُ لَكَ وَإِنَّهُ
فَاطِمِيٌّ مُحَضٌّ .

قَالَ الْمَهْدِيُّ : عَلَيَّ بِهِ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : يَا شَرِيكَ ، بَلِّغْنِي أَزْكَ فَاطِمِيٍّ .
قَالَ لَهُ شَرِيكَ : أَعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَكُونَ
غَيْرَ فَاطِمِيٍّ ، إِلَّا أَنْ تَعْنِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ كِسْرَى .

قَالَ : وَلَكِنِّي أَعْنِي فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : أَفَتَعْنِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ .

قَالَ : فَمَاذَا تَقُولُ فِيمَنْ يَلْعَنُهَا ؟

قَالَ : عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ .

قال : فالْعَيْنَ هذا ، يعني الربيع ، فإنه يلعبها ، فعليه لعنة الله .

قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ما ألعنها .
قال له شريك : يا ماجن ، فما ذكرك لسيدة نساء العالمين ، وابنة سيّد المرسلين ، في مجالس الرجال ؟
قال المهدي : دعني من هذا ، فإني رأيتك في منامي كأن وجهك مضروف عني وقفاك إليّ ، وما ذلك إلا بخلافك عليّ ، ورأيت في منامي كأني أقتل زنديقاً .

قال شريك : إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق ، صلواتُ على محمد وعليه ، وإنّ الدماء لا تستحل بالأحلام ، وإنّ علامة الزندقة بيّنة .

قال : وما هي ؟

قال : شرب الخمر والرّشا في الحكم ومهزّ البَغْيِ ١ .
قال : صدقت والله أبا عبد الله ، أنت والله خيرٌ من الذي حمّلني عليك .

•
ودخل شريكُ القاضي على المهديّ ، فقال له الربيع : خُنت مال الله ومالَ أمير المؤمنين .
قال : لو كان ذلك لأتاك سهمك .

العُتْبِيُّ قَالَ :

دخل جامعُ المُحَارِبِيِّ عَلَى الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ جَامِعٌ شَيْخاً صَالِحاً
خَطِيباً لَبِيباً جَرِيئاً عَلَى السُّلْطَانِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِلْحَجَّاجِ
إِذْ بَنَى مَدِينَةَ وَاسِطَ : بَنَيْتَهَا فِي غَيْرِ بَلَدِكَ ، وَتَوَرَّثَهَا غَيْرُ
وَلَدِكَ ؛ فَجَعَلَ الْحَجَّاجُ يَشْكُو سُوءَ طَاعَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَقُبُحَ
مَذْهَبِهِمْ . فَقَالَ لَهُ جَامِعٌ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ أَحْبَبْتُكَ لِأَطَاعُوكَ ، عَلَى
أَنَّهُمْ مَا شَتَمُوكَ لِنَسَبِكَ وَلَا لِبَلَدِكَ ، وَلَا لذَاتِ نَفْسِكَ ،
فَدَعُ عَنْكَ مَا يُبْعِدُهُمْ مِنْكَ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْكَ ، وَالتَّمَسِ
الْعَافِيَةَ مِنْ مَنْ دُونَكَ تُعْطَاهَا مَنْ فَوْقَكَ ، وَلِيَكُنْ إِيْقَاعُكَ
بَعْدَ وَعِيدِكَ وَوَعِيدُكَ بَعْدَ وَعْدِكَ .

قَالَ الْحَجَّاجُ : مَا أَرَى أَنْ أَرُدَّ بَنِي اللَّكِيْعَةِ^١ إِلَى طَاعَتِي
إِلَّا بِالسَّيْفِ .

قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ السَّيْفَ إِذَا لَاقَى السَّيْفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ .

قَالَ الْحَجَّاجُ : الْخِيَارُ يَوْمُئِذٍ لِلَّهِ .

قَالَ : أَجَلٌ ، وَلَكِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ .

فَغَضِبَ وَقَالَ : يَا هَنَاهُ^٢ ، إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ .

١ اللّكِيْعَةُ : اللّثِيْمَةُ .

٢ يَا هَنَاهُ : كَلِمَةٌ يَكْنَى بِهَا عَنْ اسْمِ الْإِنْسَانِ .

فقال جامع :

وللحَرْبِ سُمَيْنَا ، وَكُنَّا مُحَارِبًا ،
إِذَا مَا الْقَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّغْنِ أَحْمَرًا

فقال الحجاج : والله لقد هَمَمْتُ بِأَنْ أَخْلَعَ لِسَانَكَ فَأُضْرِبَ
بِهِ وَجْهَكَ .

قال جامع : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ غَشَشْنَاكَ
أَغْضَبْنَا اللَّهَ ، فَغَضِبُ الْأَمِيرِ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ .

قال : أَجَلٌ ؛ وَسَكَنَ .

وَشَغِلَ الْحَجَّاجُ بِبَعْضِ الْأُمْرِ ، فَانْسَلَّ جَامِعٌ ، فَمَرَّ بَيْنَ
الصُّفُوفِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى جَاوَزَهَا إِلَى صُفُوفِ الْعِرَاقِ ،
فَأَبْصَرَ كَبْكَبَةَ^١ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ الْعِرَاقِ ، وَقَيْسُ
الْعِرَاقِ ، وَتَمِيمُ الْعِرَاقِ ، وَأَزْدُ الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ اشْتَرَأَبُثُوا
إِلَيْهِ ، وَقَالُوا لَهُ : مَا عِنْدَكَ ؟ دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ .

قال : وَيَحْكُمُ ! عُمُوهُ بِالْخُلْعِ كَمَا يَعْصُمُكُمْ بِالْعِدَاوَةِ ، وَدَعَوْا
التَّعَادِي مَا عَادَاكُمْ ، فَإِذَا ظَفِرْتُمْ تَرَاجَعْتُمْ وَتَعَادَيْتُمْ ، أَيُّهَا
التَّمِيمِيُّ هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ الْأَزْدِيِّ ، وَأَيُّهَا الْقَيْسِيُّ هُوَ

١ الكبكبة : الجماعة المتضامة من الناس .

أَعَدَى لَكَ مِنَ التَّعْلِي ، وَهَلْ ظَفَرَ مِنْ نَافَاةٍ مِنْكُمْ إِلَّا مِنْ
بَقِيٍّ مَعَهُ مِنْكُمْ ؟

وَهَرَبَ جَامِعٌ مِنْ قَوْرِهِ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَجَارَ بَنُفَرَ
ابْنَ الْحَارِثِ فَأَجَارَهُ .



الْعُتْبِيُّ قَالَ : كَانَ هَارُونَ الرَّشِيدُ يَقْتُلُ أَوْلَادَ فَاطِمَةَ
وَشِيعَتِهِمْ ، وَكَانَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ صَرِيحَ الْغَوَانِي ، قَدْ رُمِيَ
عِنْدَهُ بِالتَّشْيِيعِ ، فَأَمَرَ بِطَلْبِهِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِطَلْبِ أَنْسِ
ابْنَ أَبِي شَيْخٍ كَاتِبِ الْبِرَامِكَةِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ وَجَدَ هُوَ وَمُسْلِمُ
ابْنَ الْوَلِيدِ عِنْدَ قَيْئَنَةَ بَغْدَادَ ، فَلَمَّا أَتَى بِهِمَا ، قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَتَى بِالرَّجُلَيْنِ .

قَالَ : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ ؟

قِيلَ : أَنْسُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ ، وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ .

فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَنِي بِهِمَا ، يَا غَلَامَ ، أَحْضِرْهُمَا .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، فَرَقَّ

لَهُ وَقَالَ : إِيَّاهُ يَا مُسْلِمَ ، أَنْتَ الْقَاتِلُ :

أَنْسَ الْهُوِيُّ بَنِي عَلِيٍّ فِي الْحَشَا ،

وَأَرَاهُ يَطْمَحُ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ

قال : بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين :

أَنسِ الهوى ببني العُجُومَةِ في الحشا ،
مُسْتَوْحِشاً من سائر الإِيناسِ

وإذا تكاملت الفضائل كُنْتُمْ
أولى بذلك ، يا بني العَبَّاسِ

قال : فعجب هارون من سُرعَةِ بَدِيهِته ، وقال له بعضُ
جلسائِهِ : استَبْقِهِ يا أمير المؤمنين ، فإنه من أشعر الناسِ ،
وامتَحِنَهُ فسترى منه عَجَباً .

فقال له : قُلْ شَيْئاً في أَنسِ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أَفَرِخَ رَوْعِي ، أَفَرِخَ الله
رَوْعَكَ يوم الحاجة الى ذلك ، فَإِنِّي لم أدخل على خليفة قط ،
ثم أَنشأ يقول :

تَلَمَّظَ السيفُ من شوقٍ الى أَنسٍ ،
فالموتُ يلحظُ ، والأقدارُ تَنْتَظِرُ

فليس يَبْلُغُ مِنْهُ ما يُؤَمِّلُهُ ،
حتى يُؤامِرَ فيه رَأْيِكَ القَدَرُ

أَمْضَى من الموتِ ، يعفو عند قُدْرَتِهِ ،
وليس للموتِ عَفْوٌ حين يَقْدَرُ

قال : فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلا يرى ما همّ به ،
حتى اذا فرغ من قتل أنس ، قال له : أنشدني أشعرَ شعر لك ؛
فكلما فرغ من قصيدة ، قال له : التي تقول فيها الوَحْل ، فإني
رويتها وأنا صغير ؛ فأنشده شعره الذي أوّله :

أديرًا عليّ الراحَ لا تشربا قبلي ،
ولا تطلبنا من عند قاتلي دحلي

حتى انتهى الى قوله :

اذا ما علّتْ منّا دُؤابةَ شاربٍ ،
تمشّتْ به مَشْيَ المُقَيّدِ في الوَحْلِ

فضحك هارون وقال : ويحك يا مُسلم ! أما رَضِيتَ أن
قيّده ، حتى جعلته يمشي في الوَحْل ؟
ثم أمر له بجائزة وخلي سبيله .



قال كِسْرَى لِيُوشَتِ الْمُعَنِّي ، وقد قَتَلَ الْفَهْلِيذَ تَلْمِيذَهُ :
كنتُ أستريح منك إليه ومنه إليك ، فأذهبَ حَسْدُكَ ،
وتَغْلُ صَدْرَكَ شَطْرَ مَتَّعِي .

وأمر أن يُطرح تحت أرجل الفيلة . فقال : أيها الملك ،
اذا كنتُ أنا قد أذهبتُ شَطْرَ تَمَتُّعِكَ ، وأذهبتُ أنتَ
الشطر الآخر ، أليس جنائتُك على نفسك ، مثلَ جنائتي عليك ؟

قال كِسْرَى : دَعُوهُ ، فَمَا دَلَّهٗ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مَا
جَعَلَ لَهُ مِنْ طُولِ الْمَدَّةِ .



يعقوب بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس قال : دخلتُ
يوماً على الرشيد ، أمير المؤمنين ، وهو مُتَغَيِّظٌ مُتَرَبِّدٌ ،
فَنَدِمْتُ عَلَى دَخُولِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَفْهَمُ غَضَبَهُ فِي وَجْهِهِ ،
فَسَلَّمْتُ ، فَلَمْ يَرُدَّ ، فَقُلْتُ : دَاهِيَةٌ نَادَا ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيَّ
فَجَلَسْتُ . فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بن جعفر بن أبي
طالب ، فَلَقَدْ نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

يَأَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ عَنْ شِيَمَتِي سَفْهَاءَ ،
عَمْدًا عَصَيْتُ مَقَالَ الزَّاجِرِ النَّاهِي

أَقْصِرْ ، فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ أَرْؤَمَتِهِمْ
فِي الثُّؤْمِ ، فَافْخَرْ بِهِمْ مَا شِئْتُ ، أَوْ بَاهِ

يُزَيِّنُ الشَّعْرُ أَفْوَاهًا ، إِذَا نَطَقَتْ
بِالشَّعْرِ يَوْمًا ، وَقَدْ يُزْرِي بِأَفْوَاهِ

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَا مِنْ فَضْلِ حِيلَتِهِ ،
وَيُصْرَفُ الرِّزْقُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الدَّاهِي

لَقَدْ عَجِبْتُ لِقَوْمٍ لَا أَصُولُ لَهُمْ ،
أَثَرُوا وَلَيَنْبُوا وَإِنْ أَثَرُوا بِأَشْبَاهِي

مَا نَالَنِي مِنْ غِنًى يَوْمًا وَلَا عُدُمٌ ،
إِلَّا وَقَوَّيْ عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ومن ذا الذي بلغت به المقدرة ؟
أن يُسامي مثلك أو يُدانيه ؟
قال : لعلّه من بني أبيك وأملك .



كان الكُميت بن زيد يمدح بني هاشم ويُعرّض ببني أُمية ،
فطلبه هشام ، فهرب منه عشرين سنةً ، لا يستقرّ به القرار
من خوف هشام ، وكان مسّلمة بن عبد الملك له على هشام
حاجة في كل يوم يَقْضِيها له ، ولا يرده فيها ، فلما خرج مسّلمة
ابن عبد الملك يوماً الى بعض صُيُوده ، أتى الناس يُسَلِّمون عليه ،
وأُتاه الكُميت بن زيد فيمن أتي ، فقال : السلام عليك أيها
الأمير ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بالديار وقوفَ زائرٍ ، وتأنّ ، إنك غيرُ صاغِرٍ
حتى انتهى إلى قوله :

يا مسّلم بن أبي الوليد ، لِمِيتٍ ، إن شئت ، ناشِرٍ

عَلِقَتْ حِبَالِي مِنْ حَبَا لَكَ ذِمَّةَ الْجَارِ الْمُجَاوِرِ
فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ ، وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ
وَالآنَ كُنْتُ بِهِ الْمُصِيبَ ، كَمُهِتَدٍ بِالْأَمْسِ حَائِرُ
فَقَالَ مَسْلُومَةٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، مِنْ هَذَا الْهِنْدِكِيِّ الْجِلْحَابِ ١
الَّذِي أَقْبَلَ مِنْ أَخْرِيَّاتِ النَّاسِ قَبْدًا بِالسَّلَامِ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ ثُمَّ الشَّعْرُ ؟
قِيلَ لَهُ : هَذَا الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ .

فَأَعْجَبَ بِهِ لِفَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ ، فَسَأَلَهُ مَسْلُومَةٌ عَنْ خَبَرِهِ ،
وَمَا كَانَ فِيهِ طُولَ غَيْبَتِهِ ، فَذَكَرَ لَهُ سُخْطَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ ، فَضَمَّنَ لَهُ مَسْلُومَةٌ أَمَانَهُ ، وَتَوَجَّهَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى
هَشَامٍ ، وَهَشَامٌ لَا يَعْرِفُهُ . فَقَالَ الْكُمَيْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ .
قَالَ هَشَامٌ : نَعَمْ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا هَذَا .

قَالَ الْكُمَيْتُ : مُبْتَدِئُ الْحَمْدِ وَمُبْتَدِعُهُ ، الَّذِي خَصَّ
بِالْحَمْدِ نَفْسَهُ ، وَأَمَرَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ ، وَجَعَلَهُ فَاتِحَةَ كِتَابِهِ ، وَمُنْتَهَى
شُكْرِهِ ، وَكَلَامَ أَهْلِ جَنَّتِهِ ، أَحْمَدَهُ حَمْدَ مَنْ عَلِمَ يَقِينًا ،
وَأَبْصَرَ مُسْتَبِينًا ، وَأَشْهَدُ لَهُ بِمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ،
وَحَدَّاهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْعَرَبِيُّ ، وَرَسُولُهُ

١ الهندي : الرجل من أهل الهند . الجلباب : الشيخ الكبير .

الأمي ، أرسله والناس في هَبَوَات^١ حَيْرَة ، ومُدْلَسِمَات
ظُلْمَة ، عند استمرار أُبْهَة الضلال ، فبَلَغ عن الله ما أمر به
ونَصَح لأمته ، وجاهد في سَبيله ، وعَبَد رَبّه حتى أتاه اليقين ،
صَلَّى الله عليه وسلم .

ثم إني يا أمير المؤمنين تَهْت في حَيْرَة ، وحِرْت في سَكْرَة ،
إِدْلَام^٢ بي خَطَرُهَا ، وأَهَاب^٣ بي داعيها ، وأجاني غاويها ،
فاقْطَوْطِيت^٤ إلى الضلالة ، وتسكَّعت^٥ في الظُلْمَة والجهالة ،
حائداً عن الحق ، قائلاً بغير صِدْق ، فهذا مقام العائد ، ومنْطَق
التائب ، ومُبْصَر^٦ الهدى بعد طول العمى .

ثم يا أمير المؤمنين ، كم من عاثر أَقْلَتمْ عَثْرته ، ومُجْتَرَم
عَفَوتم عن جُرْمه .

فقال له هشام ، وأيقن أنه الكُمَيْت : ويحك ! من سَنَ
لك الغَوَاية ، وأَهَاب بك في العَمَاية ؟

١ الهبوات ، واحدها هبوة : الغبار اذا سطع واعمى الابصار .

٢ ادْلَام : ادْهَم .

٣ اهَاب : دعا .

٤ اقطوطي : قارب في مشيه مع نشاط .

٥ تسكعت : تعثرت .

٦ مبصر : مكان الابصار .

قال : الذي أخرج أيَّ آدمَ من الجنةِ فَنَسِيَ ولم يَجِدْ له
عِزَّماً ، وأميرُ المؤمنين كَرِيحَ رَحْمَةٍ أَثَارَتْ سَحَاباً مُتَفَرِّقاً
فَلَفَّقَتْ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى التَّحَمَّ فَاسْتَحْكَمَ ، وَهَدَرَ رَعْدُهُ ،
وَتَلَأَلَ بَرْقُهُ ، فَانْزَلَ الْأَرْضَ فَرَوَيْتِ وَاخْضَلَّتِ^١
وَاخْضَرَّتْ ، وَأُسْقِيَتْ ، فَرَوَيْ ظِمَانُهَا ، وَامْتَلَأَ عَطْشَانُهَا ،
فكَذَلِكَ نَعُدُّكَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَضَاءَ اللَّهُ بِكَ الظُّلْمَةَ
الدَّاجِيَةَ بَعْدَ الْعُمُوسِ^٢ فِيهَا ، وَحَقَّنَ بِكَ دِمَاءَ قَوْمٍ أَشْعَرَ
خَوْفِكَ قُلُوبَهُمْ ، فَهُمْ يَبْكُونَ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ حَزْمِكَ وَبَصِيرَتِكَ ،
وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّكَ الْحَرْبُ وَابْنُ الْحَرْبِ ، إِذَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ ،
وَعَضَّتِ الْمَغَافِرُ^٣ بِالْهَامِ ، عِزٌّ بِأُسْكَ ، وَاسْتَرْبَطَ جَاشُكَ ، مِسْعَارٌ
هَتَّافٌ ، وَكَافٍ بِصِيرٍ بِالْأَعْدَاءِ ، مُغْرِي الْخَيْلِ بِالنَّكْرَاءِ ،
مُسْتَغْنٍ بِرَأْيِهِ عَنْ رَأْيِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، بِرَأْيِ أَرِيبٍ ، وَحَلِيمٍ
مُصِيبٍ ، فَأَطَالَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَقَاءَ ، وَتَمَّ عَلَيْهِ النَّعْمَاءُ ،
وَدَفَعَ بِهِ الْأَعْدَاءَ .

فرضي عنه هشام وأمر له بجائزة .

١ اخضلت : نديت .

٢ العموس : اشتداد الظلام .

٣ المغافر ، واحدها مغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة .

العُتْبِيُّ قال : لما أُتِيَ بَابُ هُبَيْرَةَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ وَالِي الْعِرَاقِ ، أُتِيَ بِهِ مَغْلُولًا مُقَيَّدًا فِي مِدرَعَةٍ^١ ، فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْ خَالِدٍ أَلْقَاهُ الرِّجَالُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَنْعَمُوا عَلَيْكَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ قَدْ أَنْعَمُوا بِهَا عَلَيَّ مِنْ قَبْلِكَ ، فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَسْتَنْ فِي بَسْنَةِ يَسْتَنْ^٢ بِهَا فَيْكَ مَنْ بَعْدَكَ .

فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ ؛ فَأَمَرَ ابْنُ هُبَيْرَةَ غِلْمَانَهُ فَيَحْفَرُوا لَهُ تَحْتَ الْأَرْضِ سِرْدَابًا حَتَّى خَرَجَ الْحَفَرُ تَحْتَ سَرِيرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ لَيْلًا وَقَدْ أُعِدَّتْ لَهُ أَفْرَاسٌ يُدَاوِلُهَا^٣ ، حَتَّى أَتَى مَسْلَمَةَ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ ، وَاسْتَوْهَبَهُ مَسْلَمَةُ مِنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَهَبَهُ إِيَّاهُ . فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ عَلَى هِشَامٍ وَجَدَ عِنْدَهُ ابْنَ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ : إِبَاقَ الْعَبْدِ أَبَقْتُ^٣

قال له : حِينَ نِمْتُ نَوْمَةَ الْأُمَةِ .

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي ذَلِكَ :

لَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا ،
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَطْنُهَا لَكَ مَخْرَجًا

١ المدرعة : ثوب من صوف .

٢ يداولها : أي يركب فرساً بعد آخر .

٣ ابق العبد : هرب من سيده .

دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ ، بَعْدَمَا
 ثَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلِمَاتٍ ، فَفَرَّجَا^١
 فَأَصْبَحَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ ، قَدْ سِرَتْ لَيْلَةً ،
 وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا
 خَرَجْتَ وَلَمْ تَمَنَّ عَلَيكَ شَفَاعَةً ،
 سِوَى حَتِّكَ التَّقْرِيبَ مِنْ آلِ أَعْوَجَا^٢



وَدَخَلَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ بَعْدَمَا أَمَّنَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
 يُهْنِئُونَهُ وَيَحْمَدُونَ لَهُ رَأْيَهُ ، فَقَالَ مُتَمَثِّلًا :

مَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ ؛
 وَمَنْ يَغْوَى لَا يَغْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَمَّا

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : مَا كَانَ قَوْلُكُمْ لَوْ عُضِرَ لِي أَوْ أُدْرِكَتْ
 فِي طَرِيقِي ؟

١ يُونُسُ : يُونَان . ثَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلِمَاتٍ : كُنَايَةً عَنْ بَقَائِهِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

٢ التَّقْرِيبُ : السَّيْرُ السَّرِيعُ . آلِ أَعْوَجَ : الْخَيُْولُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى أَعْوَجَ ، فَرَسُ
 لَبْنِي هَالَالٍ .

ومثل هذا قول القُطامي :

والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ
مَا يَشْتَهِي ، وَلَأَمَّ الْمُخْطِئُ الْهَبَلُ

•

عبدُ الله بن سَوَّار قال : قال لي الربيعُ الحَاجِبُ : أَتُحِبُّ
أَنْ تَسْمَعَ حَدِيثَ ابْنِ هُبَيْرَةَ مَعَ مَسْلَمَةَ ؟
قلت : نعم .

قال : فَأَرْسَلَ لِحُصِيِّ كَانَ لِمَسْلَمَةَ يَقُومُ عَلَى وَضُوئِهِ ، فَجَاءَهُ
فَقَالَ : حَدَّثَنَا حَدِيثَ ابْنِ هُبَيْرَةَ مَعَ مَسْلَمَةَ .

قال : كَانَ مَسْلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَوَضَّأُ
وَيَتَنَقَّلُ حَتَّى يُصْبِحَ فَيَدْخُلُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنِّي لَأُصْبِ
الْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ إِذْ صَاحَ صَاحِحٌ مِنْ
وَرَاءِ الرُّوَّاقِ : أَنَا بِاللَّهِ وَبِالْأَمِيرِ ؛ فَقَالَ مَسْلَمَةَ : صَوْتُ ابْنِ
هُبَيْرَةَ ، أَخْرُجْ إِلَيْهِ . فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَرَجَعْتُ فَأَخْبَرْتَهُ ؛ فَقَالَ :
أَدْخِلْهُ ، فَدَخَلَ ؛ فَإِذَا رَجُلٌ يَمِيدُ نُعَاسًا ، فَقَالَ : أَنَا بِاللَّهِ وَبِالْأَمِيرِ .
قال : أَنَا بِاللَّهِ وَأَنْتَ بِاللَّهِ .

ثم قال : أَنَا بِاللَّهِ وَبِالْأَمِيرِ .

قال : أَنَا بِاللَّهِ وَأَنْتَ بِاللَّهِ ، سَعَى قَالُهَا ثَلَاثًا .

ثم قال : أَنَا بِاللَّهِ ، فَسَكَتَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : انْطَلِقْ
بِهِ فَوَضَّعَهُ وَلِيُصَلِّ ، ثُمَّ اعْرِضْ عَلَيْهِ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ

فَأَتَاهُ بِهِ وَافْرَشَ لَهُ فِي تِلْكَ الصُّفَّةِ ، لَصُفَّةٍ بَيْنَ يَدَيِ بُيُوتِ
النِّسَاءِ ، وَلَا تُوقِظُهُ حَتَّى يَقُومَ مَتَى قَامَ .

فَانْطَلَقَتْ بِهِ فَمَوْضَاً وَصَلَّى وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الطَّعَامَ ، فَقَالَ :
شَرِبْتُ سَوِيقًا ، فَشَرِبْتُ ، وَفَرَشْتُ لَهُ فَنَامَ ؛ وَجِئْتُ إِلَى مَسْلَمَةَ
فَأَعْلَمْتُهُ ، فَغَدَا إِلَى هَشَامَ ، فَجَلَسَ عِنْدَهُ ، حَتَّى إِذَا حَانَ قِيَامُهُ ،
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِي حَاجَةٌ .

قَالَ : قُضِيَتْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ فِي ابْنِ هُبَيْرَةَ .

قَالَ : رَضِيَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ ثُمَّ قَامَ مُنْصَرَفًا ، حَتَّى إِذَا
كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْإِيوَانِ رَجَعَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا عَوَّدْتَنِي أَنْ تَسْتَثْنِي فِي حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِي ، وَإِنِّي أَكْرَهُ
أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْدَثْتَ عَلَيَّ الْإِسْتِثْنََاءَ .

قَالَ : لَا أَسْتَثْنِي عَلَيْكَ .

قَالَ : فَهُوَ ابْنُ هُبَيْرَةَ .

فَعَفَا عَنْهُ .



بَلَغَ هَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ رَجُلٍ كَلَامٌ غَلِيظٌ ، فَأَحْضَرَهُ .
فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَعَلَ يَتَكَلَّمُ .

فَقَالَ لَهُ هَشَامُ : وَتَتَكَلَّمُ أَيْضًا ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا » فَتُجَادِلُ اللَّهُ تَعَالَى جَدًّا وَلَا نَكَلِمَكَ كَلَامًا ؟

فَقَالَ هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : وَيْحَكَ ! تَتَكَلَّمُ بِحَاجَتِكَ .

فضيلة العفو والترغيب فيه

كان للمأمون خادم ، وهو صاحب وضوئه ، فبينما هو
يصب الماء على يديه ، إذ سقط الإِناء من يده ، فاغتاض المأمون
عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله يقول : « والكَاظِمِينَ
الغَيْظَ . »

قال : قد كَظَمْتُ غَيْظِي عَنْكَ .

قال : « والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ . »

قال : قد عَفَوْتُ عَنْكَ .

قال : « وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . »

قال : اذهب فانت حُر .

أمر عمرُ بن عبد العزيز بعقوبة رجل ، فقال له رَجاء بن
حيوة : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله قد فعل ما تُحِبُّ مِنَ الظُّفْرِ ،
فافعل ما يُحِبُّهُ مِنَ الْعَفْوِ .

الأصمعيّ قال : عزم عبدُ الله بن عليٍّ على قَتْلِ بَنِي أُمِيَّةَ بِالْحِجَازِ ؛
فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب ، رضي الله

عنهم : إذا أسرعت بالقتل في أكفائك ، فمن تباهي بسُلطانك ؟
فاعفُ يَعْفُ اللهُ عنك .

دخل ابن خريم على المهديّ ، وقد عَتَبَ على بعض أهل
الشام ، وأراد أن يُعْزِرَهم جَلِيشاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
عليك بالعفو عن الذنب ، والتجاوز عن المسيء ، فلأن
تُطِيعَكَ العرب طاعةَ حُبَّة ، خيرٌ لك من أن تُطِيعَكَ طاعةَ
خَوْف .

أمر المهديّ بضَرْبِ عنق رجل ، فقام إليه ابنُ السَّمَاك ،
فقال : إن هذا الرجل لا يَجِبُ عليه ضربُ العنق .
قال : فما يجب عليه ؟

قال : تَعَفُّوْا عنه ، فإن كان من أَجَرَ كان لك دُونِي ، وإن
كان من وَزَرَ كان عليّ دُونكَ .
فخَلَّسَ سَبِيلَهُ .

كَلَّمَ الشَّعْبِيُّ ابْنَ هُبَيْرَةَ فِي قَوْمِ حَبَسَهُمْ ، فَقَالَ : إِنْ
كَنتَ حَبَسْتَهُمْ بِبَاطِلٍ فَالْحَقُّ يَطْلِقُهُمْ ، وَإِنْ كُنتَ حَبَسْتَهُمْ
بِحَقٍّ فَالْعَفْوُ يَسْعُهُمْ .

العُتْبِيُّ قَالَ : وَقَعْتُ دِمَاءَ بَيْنَ حَيِّينَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَأَقْبَلَ
أَبُو سُفْيَانَ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ وَاضِعٌ رَأْسَهُ إِلَّا رَفَعَهُ ، فَقَالَ :
يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَلْ لَكُمْ فِي الْحَقِّ أَوْ فِيمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَقِّ ؟
قَالُوا : وَهَلْ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ الْحَقِّ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، الْعَفْوُ ؛ فَتَهَادَنَ الْقَوْمُ وَاصْطَلَحُوا .

•
وَقَالَ هُزَيْمُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ لِيَزِيدَ بْنِ عَاتِكَةَ بَعْدَ ظَفَرِهِ
بِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ : مَا ظَلِمَ أَحَدٌ ظُلْمَكَ ، وَلَا نَصَرَ نَصْرَكَ ،
فَهَلْ لَكَ فِي الثَّالِثَةِ نَقْلُهَا ؟
قَالَ : وَمَا هِيَ ؟
قَالَ : وَلَا عَفَا عَفْوَكَ .

•
وَقَالَ الْمُبَارَكُ بْنُ فُضَّالَةَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ جَالِسًا فِي
السَّمَاطِ ، إِذْ أَمَرَ بِرَجُلٍ أَنْ يُقْتَلَ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
نَادَى مُنَادٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ : أَلَا مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَدٌ
فَلْيَتَقَدَّمْ ؛ فَلَا يَتَقَدَّمُ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ مُذْنِبٍ . فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ .

وقال الأحنف بن قيس : أحقُّ الناس بالعفو أقدرهم
على العقوبة .

وقال النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « أقرب ما يكون
العبدُ من غضب الله إذا غضب . »

وتقول العربُ في أمثالها : ملكتَ فأَسْجِحْ ، وارْحَمْ ،
تُرْحَمْ ، وكما تَدِينُ تُدَانُ ، ومن برَّ يوماً بُرَّ به .

بعد الهمة وشرف النفس

دخل نافع بن جبير بن مطعمٍ على الوليد ، وعليه كِسَاءٌ غليظ ، وخُفَّانِ جاسِيان^١ ، فسَلَّم وجَلَس ، فلم يَعْرِفْهُ الوليد ، فقال لِحَادِمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ : سَلْ هَذَا الشَّيْخَ مَنْ هُوَ . فسأله ، فقال له : اعزُّبْ ؛ فعاد الى الوليد فأخبره ؛ فقال : عُدْ إِلَيْهِ واسأله ؛ فعاد إِلَيْهِ ، فقال له مِثْلَ ذَلِكَ . فضحك الوليدُ ، وقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : نافع بنُ جُبَيْر بنِ مُطْعَم .

وقال زياد بن ظبيان لابنه عُبَيْد الله : أَلَا أُوصِي بِكَ الْأَمِيرَ زِيَاداً ؟ قال : يَا أَبَتَ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيِّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتُ .

وقال مُعَاوِيَةُ لِعَمْرُو بنِ سَعِيدٍ : اِلَى مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ ؟ قال : إِنَّ أَبِي أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يَوْصِرْ بِي . قال : وَبِمَ أَوْصَى إِلَيْكَ ؟

١ جاسيان : غليظان .

قال : أن لا يَفْقَدَ إخوانه منه إلا وجهه .

وقال مالك بن مِسمع لعُبَيد الله بن زياد بن ظُبَيان : ما
في كِنانتي سهم أنا به أوثق مني بك .
قال : وإني لفي كِنانتك ! أما والله لئن كنتُ فيها قائماً
لأطولنَّها ، ولئن كنتُ فيها قاعداً لأخرقنَّها .
قال : كثرَ الله مثلك في العَشيرة .
قال : لقد سألتَ الله شَططاً .

وقال يزيد بن المُهَلَّب : ما رأيتُ أشرفَ نفساً من
الفرزدق ، هَجاني مَلِكاً ، ومَدَحني سُوقَة .

وقَدِمَ عُبَيد الله بن زياد بن ظُبَيان على عَتَّاب بن وَرْقَاء
الرَّيَّاحيِّ ، وهو والي خراسان ، فأعطاه عشرين ألفاً ، فقال له :
والله ما أحسنتَ فأحمدُك ، ولا أسأتَ فألومُك ، وإنك لأقرب
البُعْداء ، وأحبُّ البُغضاء .

وعُبَيد الله بن زياد بن ظُبَيان هذا هو القائل : والله ما
نَدِمْتُ على شيءٍ قَطُّ نَدِمَني على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيتُه
برأس مُصْعَب بن الزُّبَير فخرَّ لله ساجداً ، أن لا أكون قد

ضربت عنقه ، فأكون قد قتلتُ ملكين من ملوك العرب في يوم واحد .

ومن أشرف الناسِ همّة عَقِيل بن عُلَقة المُرِّي . وكان أعرابياً يسكنُ البادية ، وكان تُصهرُ إليه الخُلفاء ، وخطب إليه عبدُ الملك بن مروان ابنته لأحد أولاده ، فقال له : جَنِّبني هُجْناً ولدك .

وقال عمرُ بن عبد العزيز لرجل من بني أُمية كان له أخوال في بني مُرّة : قَبِّحَ الله شَبْهاً غلب عليك من بني مُرّة . فبلغ ذلك عَقِيل بن عُلَقة ، فأقبل إليه فقال له قبل أن يبتدئه بالسلام : بلغني يا أمير المؤمنين أنك غَضِبت على رجل من بني عمّك له أخوال في بني مُرّة ، فقلت : قَبِّحَ الله شَبْهاً غلب عليك من بني مُرّة ، وأنا أقول قَبِّحَ الله أَلأمَ الطّرفين ، ثم انصرف .

فقال عمرُ بن عبد العزيز : من رأى أعجبَ من هذا الشيخ الذي أقبل من البادية ليست له حاجة إلاّ شَتْمُنَا ثم انصرف ؟ فقال له رجل من بني مُرّة : والله يا أمير المؤمنين ما شَتَمك وما شَتَم إلاّ نفسه وقومه ، نحن والله أَلأمُ الطرفين .

أبو حاتم السجستاني عن محمد بن عبيد الله العُتبي قال :
 سمعتُ أبي يُحدِّث عن أبي عمرو المُرِّي ، قال : كان بنو عَقيـل
 ابن عُـلـفـة بن مُرّة بن عَظفان يتناقلون وينتجعون الغيث ،
 فسمِعَ عَقيـل بن عُـلـفـة بنتاً له ضَحِكَت فَشَهِقَتْ في آخر
 ضَحِكِهَا ، فاختَطَط السيفَ وحَمَلَ عليها وهو يقول :
 فَرِقْتُ ، إني رَجُلٌ فَرُوقٌ ، بضُحْكَه آخرُهَا شَهِيقُ
 وقال عَقيـل :

إني وإن سيقَ إليَّ المَهْرُ : أَلْفٌ وعُبدان وذَوْدٌ عَشْرُ
 أَحَبُّ أَصْهاري إليَّ القَبْرُ

وقال الأصمعي :

كان عَقيـل بن عُـلـفـة المُرِّي رجلاً غموراً ، وكان يُصْهِرُ
 إليه الحُلفاء ، وإذا خرج يَمْتَارُ خَرجَ بابنته الجَرَباء معه . قال :
 فنزلوا ديراً من دِيرة الشَّام يُقال له دِيرُ سَعْدٍ^٢ ، فلما ارتحلوا
 قال عَقيـل :

١ الذود : ثلاث نياق وقيل أكثر .

٢ دير سعد : بين بلاد غطفان والشَّام .

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دِيرِ سَعْدٍ ، وَطَالَمَا
عَلَى عُرْضٍ نَاطَحْنَهُ بِالْجَمَاجِمِ ١

ثم قال لابنه : يَا عَمَلَسْ ، أَجِزْ ، فَقَالَ :

فَأَصْبَحْنُ بِالْمَوْمَاةِ ، يَحْمِلُنْ فِتِيَةً
نَشَاوِي مِنَ الْإِدْلَاجِ ، مِيلَ الْعَمَائِمِ ٢

ثم قال لابنته : يَا جَرْبَاءُ ، أَجِيزِي ، فَقَالَتْ :

كَأَنَّ الْكَرَى سَقَّاهُمْ صَرْخَدِيَّةً ،
عُقَارًا ، تَمْشَى فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ ٣

قال : وَمَا يُدْرِيكَ أَنْتَ مَا نَعْتُ الْحُمْرَ ! فَأَخَذَ السِّيفَ
وَهَوَى نَحْوَهَا ، فَاسْتَعَانَتْ بِأَخِيهَا عَمَلَسْ ، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .
قال : فَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهُ . قال : فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَاخْتَلَّ
فَخَذِيهِ ، فَبَرَكَ ، وَمَضُوا وَتَرَكَوهُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا أَدْنَى مَاءٍ
لِلْأَعْرَابِ ، قَالُوا لَهُمْ : إِنَّا أَسْقَطْنَا جَزُورًا فَأَدْرِ كَوْهَا وَخُذُوا
مَعَكُمْ الْمَاءَ ، فَفَعَلُوا ، فَإِذَا عَقِيلٌ بَارِكٌ وَهُوَ يَقُولُ :

١ ناطحنه بالجماجيم : اي ايبن المقام فيه فبرزن رؤوسهن تكرها .

٢ الادلاج : سير الليل .

٣ صرخدية : نسبة الى صرخد ، بلد في جبل الدروز كانوا ينسبون اليه الحمر .

٤ اختل فخذيه : نفذ فيهما وانتظهما .

إِنَّ بَنِي زَمْـلُونِي بِالْـدَّمِ ، شَنْشَنَةَ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

مَنْ يَلْقَ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

والشَّـنْشَنَةُ : الطَّبِيعَةُ ، وَأَخْزَمُ : فَحْلٌ مَعْرُوفٌ ، وَهَذَا
مَثَلٌ لِلْعَرَبِ .

وَمَنْ أَعَزَّ النَّاسَ نَفْسًا وَأَشْرَفَهُمْ هِمَمًا الْأَنْصَارُ ، وَهُمْ الْأَوْسُ
وَالْخَزْرَجُ ، ابْنَا قَبِيلَةٍ ، لَمْ يُؤَدِّوا إِتَاوَةً قَطُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى
أَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ تَبَعٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ،
وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا أَنْ يَغْزُوهُمْ . فَكَتَبُوا إِلَيْهِ :

الْعَبْدُ تَبَعُكُمْ يَرُومُ قِتَالَنَا ،
وَمَكَانُهُ بِالْمَنْزِلِ الْمُتَدَلِّلِ

فَغَزَاهُمْ تَبَعُ أَبُو كَرَبٍ ، فَكَانُوا يُقَاتِلُونَهُ نَهَارًا وَيُخْرِجُونُ
إِلَيْهِ الْقُرَى لَيْلًا ، فَتَدَمَّتْ مِنْ قِتَالِهِمْ وَرَحَلَ عَنْهُمْ .

وَدَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى سُليْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ :
مَنْ أَنْتَ ؟ وَتَجَهَّـمَ لَهُ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ .

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَمَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قَالَ : لَا .

قال : أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ،
وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر
العرب .

قال : والله لتبئنينّ ما قلتَ أو لأوجعنّ ظهرك
ولأهدمنّ دارك .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أمّا أوفى العرب ، فحاجبُ
ابن زُرارة ، الذي رَهَنَ قَوْسَه عن جميع العرب فوقى
بها ، وأمّا أسود العرب ، فقيس بن عاصم ، الذي وفّد
على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبسط له رداءه ، وقال :
هذا سيّد الوبر ؛ وأمّا أحلم العرب ، فعتّاب بن
ورقاء الرياحيّ ؛ وأمّا أفرس العرب ، فالحرّيش بن هلال
السّعدي ؛ وأمّا أشعر العرب ، فهأنذا بين يديك يا
أمير المؤمنين .

فاغتمّ سليمان ممّا سمِع من فخره ولم يُنكِره ، وقال :
ارجع على عقبيك ، فما لك عندنا شيء من خير .

فرجع الفرزدق وقال :

أتيناك لا من حاجةٍ عرضت لنا
إليك ، ولا من قِلّةٍ في مُجاشعٍ

وقال الفرزدق في الفخر :

بَنُو دَارِمٍ قَوْمِي تَرَى حُجْزَاتِهِمْ ،
عِتَاقًا حَوَاشِيهَا ، رِقَاقًا نِعَالُهَا^١

يَجْرُثُونَ هُدَّابَ الْيَمَانِي ، كَأَنَّهُمْ
سُيُوفٌ جَلَا الْأَطْبَاعَ عَنْهَا صَقَالُهَا^٢

وقال الأخوص في الفخر ، وهو أفخر بيت قالته العرب :

مَا مِنْ مُصَيِّبَةٍ نَكَبَتْ أُرْمَى بِهَا ،
إِلَّا تَشَرَّفَنِي وَتَرَفَّعَ شَانِي

وَإِذَا سَأَلْتَ عَنِ الْكِرَامِ وَجَدْتَنِي ،
كَالشَّمْسِ ، لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

وقال أبو عبيدة : اجتمعت وفودُ العرب عند النُعمان بن
المُنذر ، فأخرج إليهم بُرْدِيٌّ مُحَرِّقٌ ، وقال : لِيَقُمْ أَعْرُثُ
الْعَرَبِ قَبِيلَةً فَلْيَلْبَسْهُمَا . فقام عامر بن أُحَيْمَر السَّعْدِي

١ الحجزات ، واحدها حجرة : معقد السروال والازار من الانسان . عتاقاً ،
من العتق : الحسن . وفي الكلام كناية عن البعد عن الفجور . رقاق النعال :
ملوك لا يخصفون نعالهم .

٢ الأطباع ، واحدها طبع : الصدا .

فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ؛ فقال له النعمان : بم أنت
أعزُّ العرب ؟

قال : العِزُّ والعَدَد من العرب في مَعَدٍّ ، ثم في نِزار ،
ثم في تميم ، ثم في سَعَد ، ثم في كَعْب ، ثم في عَوْف ، ثم في
بَهْدَلَة ، فمن أنكر هذا من العرب فليُنافِرني .

فسكت الناس . ثم قال النعمان : هذه حالك في قومك ،
فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟

قال : أنا أبو عَشْرَة ، وخال عَشْرَة ، وعمّ عَشْرَة ؛ وأما
أنا في نفسي فهذا شاهدي ؛ ثم وضع قَدَمه في الأرض ، ثم
قال : من أزالها عن مكانها فله مائةٌ من الإبل .

فلم يَقُمْ إليه أحد ، فَذَهَبَ بالبُرْدَيْن .

ففيه يقول الفرزدق :

فما نَمَّ في سَعَدٍ ، ولا آل مالك ،
غلامٌ إذا ما سِيلَ لم يَتَبَهَّدْ^١

لهم وَهَبَ النعمانُ بُرْدَيَّ مُحَرَّقَ ،
بِمَجْدٍ مَعَدٍّ ، والعديد المَحْصَل

وفي أهل هذا البيت من سَعَد بن زيد مَناء كانت الإِفَاضَة

١ سِيل : مسهل سئل . يتبهَّدل : يتسب الى بهدلة .

في الجاهليّة . ومنهم بنو صفوان الذين يقول فيهم أوس بن
مغراء السّعديّ :

ولا يَريَون في النّعريف مَوْقِفَهُمْ ،
حتى يُقال أجيزُوا آلَ صفوانا

ما تَطْلُعُ الشمسُ إلّا عندَ أوّلنا ،
ولا تَغِيْبُ إلّا عندَ أخرانّا

وقال الفرزدق في مثل هذا المعنى :

تَرى الناسَ ما سَرّنا يَسيرون خَلْفَنا ،
وإن نَحْنُ أوْمانا إلى الناسِ وقَفُوا

وكانت هُنَيْدَة بنت صَعْصَعَة عَمّة الفرزدق تقول : من
جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتي كَيْحَلٌ لها أن تَضَع
خِمَارها عندهم ، فِصرمتي^٢ لها : أَيْ صَعْصَعَة ، وأخي غالب ،
وخالي الأقرع بن حابس ، وزوجي الزُّبرقان بن بدر ،
فسمّيت ذات الخِمار .

١ التعريف : الوقوف بعرفة .

٢ الصرمة : القطعة من الابل .

ومن شَرُفَتْ نَفْسُهُ ، وَبَعُدَتْ هِمَّتُهُ : طاهر بن الحسين
الخراساني ، وذلك أنه لما قَتَلَ مُحَمَّدَ بْنَ زُبَيْدَةَ ، وخاف
المأمون أن يَعْدِرَ به ، امتنع عليه بخراسان ولم يُظْهِرْ خَلْعَهُ .
وقال دَعْبِلَ بْنَ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ يَفْتَخِرُ بِقَتْلِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ
مُحَمَّدًا ، لِأَنَّهُ كَانَ مَوْلَى خُرَاعَةٍ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ خُرَاعِيٌّ :

أَيْسُومَنِي الْمَأْمُونُ خُطَّةَ عَاجِزٍ ،
أَوْ مَا رَأَى بِالْأُمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ ؟

نُوفِي عَلَى رُؤْسِ الْخَلَائِقِ ، مِثْلَمَا
تُوفِي الْجِبَالَ عَلَى رُؤْسِ الْقَرَدِ ١

إِنِّي مِنَ الْقَوَمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ ،
قَتَلُوا أَخَاكَ ، وَشَرَّفُوكَ بِمَقْعَدِ

رَفَعُوا مَحَلَّكَ ، بَعْدَ طُولِ خُمُولِهِ ،
وَأَسْتَنْقِذُوكَ مِنَ الْخَضِيضِ الْأَوْهَدِ

وقال طاهر بن الحسين :

غَضِبْتُ عَلَى الدُّنْيَا ، فَأَنْهَيْتُ مَا حَوَتْ ،
وَأَعْتَبْتُهَا مِنِّي بِأَحَدِ الْمَتَالِفِ ٢

١ نوفي ، من أوفى : أشرف . القرد : ما ارتفع من الأرض .
٢ أعتبها : أَرْضِيهَا .

قَتَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا
بَقِيتُ عَنَاءً ، بَعْدَهُ ، لِلخَلَائِفِ
وَأَصْبَحْتُ فِي دَارٍ مُقِيمًا ، كَمَا تَرَى ،
كَأَنِّي فِيهَا مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ
وَقَدْ بَقِيتُ فِي أُمِّ رَأْسِي فَتَكَةٌ ،
فَأَمَّا لِرُشْدٍ ، أَوْ لِرَأْيٍ مُخَالَفِ

فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُزِيدَ بْنِ مَسْلَمَةَ :

عَتَبْتَ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا كُنْتَ رَاضِيًا ،
فَلَا أُعْتَبْتُ إِلَّا بِإِحْدَى الْمُتَالِفِ
فَمَنْ أَنْتَ ، أَوْ مَا أَنْتَ يَا فَقْعَ قَرَقَرٍ ،
إِذَا أَنْتَ ، مَنْ ، لَمْ تُعَلِّقْ بِكَانِفٍ ؟^١
فَنَحْنُ بِأَيْدِينَا هَرَقْنَا دِمَانًا ،
كَشُولٍ تَهَادَى الْمَوْتُ عِنْدَ التَّرَاحِفِ^٢
سَتَعْلَمُ مَا تَجَنَّبُنِي عَلَيْكَ ، وَمَا جَنَنْتُ
يَدَاكَ ، فَلَا تَفْخَرْ بِقَتْلِ الْخَلَائِفِ

١ الفقع : من اردأ الكمأة . القرقر : ارض مرتفعة الى جنب وهدة . ويقال
للرجل الذليل : هو فقع بقرقر ، اي ان الدواب تطأه بأرجلها .
٢ الثول : جماعة النحل .

وقد بقيت في أمّ رأسك فتكة ،
سنخرجها منه بأسمّر راعف

وقال عبد الله بن طاهر :

مُدْمِنُ الْإِغْضَاءِ مَوْصُولٌ ، وَمُدِيمُ الْعَتَبِ مَمْلُولٌ
وَمَدِينُ الْبَيْضِ فِي تَعَبٍ ، وَغَرِيمُ الْبَيْضِ مَمْطُولٌ^١
وَأَخُو الْوَجْهَيْنِ حَيْثُ رَمَى بِهِوَاهُ ، فَهُوَ مَدْخُولٌ^٢
أَقْصِرِي عَمَّا لَهَجْتَ بِهِ ، فَفَرَاغِي عَنْكَ مِشْعُولٌ
سَائِلِي ، عَمَّنْ تُسَائِلُنِي ، قَدْ يَرُدُّ الْحَيْرَ مَسْئُولٌ
أَنَا مَنْ تُعْرِفُ نِسْبَتَهُ ، سَلَفِي الْغُرُّ الْبَهَائِلُ^٣
سَلِّ بِهَمْ تَنْبِيكَ نَجْدَتُهُمْ ، مَشْرِفَاتُ مَصَاقِيلِ
كُلَّ عَضْبٍ مُشْرَبٌ عَلَقًا ، وَغَرَارُ الْحَدِّ مَقْلُولٌ
مُضْعَبُ جَدِّي ، نَقِيبُ بَنِي هَاشِمٍ ، وَالْأَمْرُ مَجْبُولٌ
وَحُسَيْنَ رَأْسُ دَعْوَتِهِمْ بَعْدَهُ ، وَالْحَقُّ مَقْبُولٌ

١ المدين : المديون . الغريم : الدائن .

٢ المدخول : من طرأ على عقله دخل ، فساد .

٣ البهاليل ، واحدها بهلول : السيد الجامع لكل خير .

٤ مجبول : طبيعة وخلقة .

وَأَبِي مَنْ لَا كِفَاءَ لَهُ ، مِنْ يُسَامِي مَجْدَهُ ؟ قُولُوا !
 صَاحِبُ الرَّأْيِ ، الَّذِي حَصَلَتْ ، رَأْيُهُ ، الْقَوْمُ الْمَحَاصِيلُ
 حَلٌّ مِنْهُمْ بِالذَّرَى شَرَفًا ، دُونَهُ عِزٌّ وَتَبَجُّيلٌ^١
 تَفْصِيحُ الْأَنْبَاءِ عَنْهُ ، إِذَا أَسَكَتَ الْأَنْبَاءَ مَجْهُولُ
 سَلُّ بِهِ الْجَبَّارَ يَوْمَ غَدَا ، حَوْلَهُ الْجُرْدُ الْأَبَابِيلُ^٢
 إِذْ عَلَتْ مِنْ فَوْقِهِ يَدُهُ ، نَوَاطِئُهَا أَبْيَضُ مَصْقُولُ
 أَبْطَنَ الْمَخْلُوعَ كُلِّكَلَهُ ، وَحَوَالِيَهُ الْمَقَاوِيلُ^٣
 فَتَوَى ، وَالتَّشْرِبُ مَصْرَعُهُ ، غَالٍ مِنْهُ ، مُلْكُهُ ، غَوْلُ
 قَادَ جَيْشًا نَحْوَ بَابِلِهِ ، ضَاقَ عَنْهُ الْعَرَضُ وَالطُّولُ
 وَهَبُوا لِلَّهِ أَنْفُسَهُمْ ، لَا مَعَاذِيلُ وَلَا مِيلُ^٤
 مَلِكٌ تَجْتَاخُ صَوْلَتُهُ ، وَنَدَاهُ ، الدَّهْرُ ، مَبْدُولُ

١ دونه : أي يحيط به .

٢ الابابيل : المتجمعة المتتابعة .

٣ المخلوع : إراد به الامين . كلكله : صدره . المقاويل ، واحدها مقول : الملك او السيد .

٤ المعاذيل : الذين لا رماح معهم ، الواحد : معزال . الميل : الجبناء ، الواحد : أميل .

نُزِعَتْ مِنْهُ ثَمَائِهِ ، وَهُوَ مَرهُوبٌ وَمَأْمُولٌ
وَتَرَهُ يُسَعِّى إِلَيْهِ رِبَهُ ، وَدَمٌّ يَجْنِيهِ مَطْلُولٌ

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة ، وكان من أصحابه وآثرهم
عنده ، ثم اعتذر إليه وزعم أنه لم يدعه الى إجابته إلا قوله :
من يُسامي مجده ؟ قولوا !

فأمر له بمائة ألف وزاده أثرة ومنزلة :

لَا يَرُوعُ الْقَالُ وَالْقِيلُ ، كُلُّ مَا بُلِّغَتْ تَضْلِيلُ
مَا هَوَى لِي ، كُنْتُ أَعْرِفُهُ ، بِهَوَى غَيْرِكَ مَوْصُولُ
أَيُّحُونَ الْعَهْدَ ذُو ثِقَةٍ ؟ لَا يَخُونُ الْعَهْدَ مَتَبُولُ^١
حَمَلْتَنِي كُلَّ لَأْمَةٍ ، كُلُّ مَا حَمَلْتُ مَحْمُولُ
وَاحْكُمِي ، مَا شِئْتُ ، وَاحْكُمِي ، فَحَرَامِي لَكَ تَحْلِيلُ
أَيُّ لِي عَنْكَ إِلَى بَدَلٍ ؟ لَا بَدِيلُ مِنْكَ مَقْبُولُ
مَا لِدَارِي مِنْكَ مُقْفِرَةٌ ، وَضَمِيرِي مِنْكَ مَأْهُولُ
وَبَدَّتْ ، يَوْمَ الْوَدَاعِ لَنَا ، غَادَةٌ كَالشَّمْسِ عُطْبُولُ^٢
تَتَعَاطَى شَدًّا مِثْرَهَا ، وَنَطَاقُ الْخَصْرِ مَحْلُولُ

١ المتبول ، من تبله الحب : اسقمه ، ذهب بعقله .

٢ العطبول : المرأة الجميلة الفتية الطويلة العنق .

شَمَلْنَا ، إِذْ ذَاكَ ، جَمَعَ ، وَجَنَاحَ الْبَيْنِ مَشْكُولٌ^١ ،
ثُمَّ وَلَّتْ ، كَيْ تَوَدَّعْنَا ، كُحِّلَهَا بِالْدَّمْعِ مَغْسُولٌ
أَيْهَا الْبَادِي بِطَيْئَتِهِ ، مَا لِأَغْلَاطِكَ تَحْصِيلٌ
قَدْ تَأَوَّلْتَ عَلَى جِهَةٍ ، وَلَنَا وَيُحْكُ تَأْوِيلٌ
إِنَّ دَلِيلَكَ ، يَوْمَ غَدَا
قَاتِلُ الْمَخْلُوعِ مَقْتُولٌ ؛ وَدَمُ الْقَاتِلِ مَطْلُولٌ^٣
قَدْ نَجَّحُونَ الرُّمَحَ عَامِلُهُ ، وَسِنَانُ الرُّمَحِ مَصْقُولٌ ؛
وَيُنَالُ الْوَتَرَ طَالِبُهُ ، بَعْدَمَا تَسْلُو الْمَثَاكِيلُ
بَأَخِي الْمَخْلُوعِ طَلَّتْ يَدًا ، لَمْ يَكُنْ فِي بَاعِهَا طَوْلٌ
وَبِنُعْمَاهِ الَّتِي كُفِّرَتْ ، جَالَتْ الْحَيْلُ الْأَبَائِيلُ
وَبِرَاعٍ غَيْرِ ذِي شَفَقٍ ، فَعَمِلَتْ تِلْكَ الْأَفَاعِيلُ
يَابَنَ بَيْتِ النَّارِ مُوقِدَهَا ، مَا لِحَاذِيهِ سِرَاوِيلُ^٥
مَنْ حُسَيْنٍ وَأَبُوهُ ، وَمَنْ مُصْعَبٌ ، غَالَتْهُمْ غَوْلُ^٦ ؟
إِنْ خَيْرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، حِينَ تَصْطُكُ الْأَقَاوِيلُ

١ مشكول : مقيد .

٢ الدليلي : الدليل .

٣ المطلول : المهذور .

٤ عامل الرمح : صدره دون السنان .

٥ الحاذان : لحمتان في ظاهر الفخذين .

٦ غالتهم : اهلكتهم . الغول : الداهية .

مراسلات الملوك

العُتْبِيُّ عن أبيه قال :

أَهْدَى مَلِكُ الْيَمَنِ عَشْرَ جَزَائِرٍ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَ أَنْ يَنْحَرَهَا
أَعَزُّ قُرَشِيٍّ . فَقَدِمْتُ وَأَبُو سُفْيَانَ عَرَّوسَ بَهْنَدَ بِنْتَ عُتْبَةَ ،
فَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَا يَشْغَلَنَّكَ النِّسَاءُ عَنْ هَذِهِ الْمَكْرَمَةِ
الَّتِي لَعَلَّهَا أَنْ تَفُوتَكَ ؛ فَقَالَ لَهَا : يَا هَذِهِ ، دَعِي زَوْجَكَ وَمَا
يُخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ ، وَاللَّهِ مَا نَحَرَهَا غَيْرِي إِلَّا نَجَرْتُهُ . فَكَانَتْ فِي
عُقُلِهَا حَتَّى خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَنَحَرَهَا .



زُهَيْرٌ عَنْ أَبِي الْجَوْيَرِيِّ الْجَرَمِيِّ قَالَ :

كُتِبَ قَيِّصَرٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ : أَخْبَرَنِي عَمَّا لَا قِبْلَةَ لَهُ ، وَعَمَّنْ
لَا أَبَ لَهُ ، وَعَمَّنْ لَا عَشِيرَةَ لَهُ ، وَعَمَّنْ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ ، وَعَنْ
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَمْ تُخْلَقْ فِي رَحِمٍ ، وَعَنْ شَيْءٍ وَنِصْفِ شَيْءٍ وَلَا
شَيْءٍ ، وَابْعَثْ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْقَارُورَةِ بَبْزُرَ كُلِّ شَيْءٍ .

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ بِالْكِتَابِ وَالْقَارُورَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ . فَقَالَ

ابن عباس : أما ما لا قبيلة له فالكعبة ؛ وأما من لا أب له
 فعيسى ؛ وأما من لا عشيرة له فآدم ؛ وأما من سار به قبره
 فيونس ؛ وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم : فكبش إبراهيم ،
 وناق ثود ، وحيّة موسى ؛ وأما شيء ، فالرجل له عقل يعمل
 بعقله ؛ وأما نصف شيء ، فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي
 ذوي العقول ؛ وأما لا شيء ، فالذي ليس له عقل يعمل به
 ولا يستعين بعقل غيره ؛ وملاً القارورة ماء ، وقال : هذا
 بزر كل شيء .

فبعث به إلى معاوية ، فبعث به معاوية إلى قيسر . فلما
 وصل إليه الكتاب والقارورة ، قال : ما خرج هذا إلا من
 أهل بيت النبوة .

نُعَيْم بن حمّاد قال :

بعث ملك الهنّد إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً فيه : من
 ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك ، والذي تحته ابنة
 ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل ، والذي له نهران
 ينبتان العود والألوة^١ والجوز والكافور ، والذي يوجد
 رجه على مسيرة اثني عشر ميلاً ، إلى ملك العرب الذي

١ الألوة : ضرب من العود يتبخر به .

لا يُشرك بالله شيئاً ، أما بعد : فإنني قد بعثتُ إليك بهديّةٍ ،
وما هي بهديّةٌ ، ولكنها تحيةٌ ، وأحببتُ أن تبعثُ إليّ
رجلاً يُعلّمني ويفهّمني الاسلام ، والسلام . يعني بالهديّة الكتاب .

الرياشي قال :

لما هدم الوليدُ كنيسةَ دمشق كتب إليه ملكُ الروم :
إنك هدمتَ الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فإن كان صواباً
فقد أخطأ أبوك ، وإن كان خطأ فما عذرك ؟

فكتب إليه : « ودَاوُدَ وسُلَيْمان إِذْ يحْكمان في الحَرْثِ
إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا
سُلَيْمانَ ، وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا . »

وكتب ملكُ الرُّوم الى عبد الملك بن مروان : أكلتُ لحم
الجمال الذي هرب عليه أبوك من المدينة لأغزيتك جنوداً مائة
ألف ومائة ألف .

فكتب عبد الملك الى الحجاج أن يبعث الى عبد الله بن
الحسن ويتوعده ويكتب إليه بما يقول ، ففعل . فقال عبدُ
الله بن الحسن : إنَّ الله ، عز وجل ، لوحاً محفوظاً ، يلحظه كل يوم
ثلثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يُحيي فيها ويُميت ويُعزِّز ويُدِلُّ

ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفينيك منها بلحظة واحدة .

فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبد الملك الى ملك الروم ، فلما قرأه قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

بعث ملك الهند الى هارون الرشيد بسيف قلعية^١ ، وكلاب سيورية^٢ ، وثياب من ثياب الهند ؛ فلما أتته الرسل بالهدية أمر الأتراك فصُفِّقوا صفين ، ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم إلا الحدق ، وأذن للرُّسل فدخلوا عليه ، فقال لهم : ما جئتم به ؟ قالوا : هذه أشرف كُسوة بلدنا .

فأمر هارون القطَّاع بأن يقطع منها جلالاً وبراقع كثيرة لحيله ، فصَلَّب الرُّسل على وجوههم ، وتذمّموا من ذلك ونكسوا رؤوسهم .

ثم قال لهم الحاجب : ما عندكم غير هذا ؟

قالوا له : هذه سُيوف قلعية لا نظير لها .

فدعا هارون بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب ،

١ قلعية ، نسبة الى القلعة : موضع ببلاد الهند واليه تنسب السيوف .

٢ سيورية : لعلها منسوبة الى موضع في الهند .

فَقَطَعَتْ بِهِ السِّيفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفًا سَيْفًا ، كَمَا يُقَطِّعُ الْفُجْلُ ،
مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْشِيَ لَهُ سَقْرَةً . ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمْ حَدَّ السَّيْفِ فَإِذَا
لَا فَلَ فِيهِ ، فَصَلَّبَ الْقَوْمَ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ : مَا عِنْدَكُمْ غَيْرَ هَذَا ؟

قَالُوا : هَذِهِ كِلَابٌ سَيُورِيهِ لَا يَلْقَاهَا سَبْعٌ إِلَّا عَقَرَتْهُ .

فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ : فَإِنَّ عِنْدِي سَبْعًا فَإِنْ عَقَرَتْهُ فَهِيَ كَمَا
ذَكَرْتُمْ .

ثُمَّ أَمَرَ بِالْأَسَدِ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ هَالَهُمْ ، وَقَالُوا :
لَيْسَ عِنْدَنَا مِثْلُ هَذَا السَّبْعِ فِي بِلَدِنَا .

قَالَ لَهُمْ هَارُونُ : هَذِهِ سَبَاعٌ بِلَدِنَا .

قَالُوا : فَنُرْسِلُهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ الْأَكْلَبُ ثَلَاثَةً ، فَأَرْسَلَتْ
عَلَيْهِ فَمَزَّقَتْهُ . فَأَعْجَبَ بِهَا هَارُونُ ، وَقَالَ لَهُمْ : تَمَتُّوْا فِي هَذِهِ
الْكِلَابِ مَا شِئْتُمْ مِنْ طَرَائِفِ بِلَدِنَا .

قَالُوا : مَا نَتَمَنَّى إِلَّا السَّيْفَ الَّذِي قَطَعْتَ بِهِ سَيُوفَنَا .

قَالَ لَهُمْ : مَا كُنَّا لِنَسْخَلَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي
دِينِنَا أَنْ نُهَادِيَكُمْ بِالسَّلَاحِ ، وَلَكِنْ تَمَتُّوْا غَيْرَ ذَلِكَ مَا شِئْتُمْ .

قَالُوا : مَا نَتَمَنَّى إِلَّا السَّيْفَ .

قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ لَهُمْ بِتُحْفٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسَنَ
جَائِزَتِهِمْ .

أبو جعفر البغدادي قال :

لما انقبض طاهر بن الحسين بخراسان عن المأمون وأخذ حذرهُ ، أدب له المأمون وصيفاً بأحسن الآداب وعلمه فنون العلم ، ثم أهداه إليه مع الطاف كثيرة من طرائف العراق ، وقد واطأه على أن يسمَّه ، وأعطاه سمّاً ساعة ، ووعدهُ على ذلك بأموال كثيرة .

فلما انتهى إلى خراسان وأوصل إلى طاهر الهدية ، قبل الهدية ، وأمر بإنزال الوصيف في دارٍ ، وأجرى عليه ما يحتاج إليه من التوسعة في النِّزَالَةِ وتركه أشهرًا . فلما برِم الوصيف بمكانه كتب إليه : يا سيدي ، إن كنتَ تقبلني فاقبلني وإلا فرُدني إلى أمير المؤمنين .

فأرسل إليه وأوصله إلى نفسه . فلما انتهى إلى باب المجلس الذي كان فيه ، أمره بالوقوف عند باب المجلس ، وقد جلس على لبَدٍ أبيض وقرَّع رأسه^٢ ، وبين يديه مُصْحَفٌ مَنشُورٌ وسيفٌ مَسْلُولٌ ، فقال : قد قبلنا ما بعث به أميرُ المؤمنين

١ النزالة : الضيافة .

٢ قرع رأسه : أذهب شعره .

غَيْرِكَ فَإِنَّا لَا نَقْبَلُكَ ، وَقَدْ صَرَفْنَاكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَيْسَ
عِنْدِي جَوَابٌ أَكْتُبُهُ ، إِلَّا مَا تَرَى مِنْ حَالِي ، فَأَبْلَغُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ ، وَأَعْلَمُهُ بِالْحَالِ الَّتِي رَأَيْتَنِي فِيهَا .

فَلَمَّا قَدِمَ الْوَصِيفُ عَلَى الْمَأْمُونِ ، وَكَاتَمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ،
وَوَصَفَ لَهُ الْحَالَ الَّتِي رَأَاهُ فِيهَا ، شَاوَرَ وَزَرَءَاهُ فِي ذَلِكَ وَسَأَلَهُمْ
عَنْ مَعْنَاهُ ، فَلَمْ يُعْلِمْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَكِنِّي قَدْ
فَهِمْتُ مَعْنَاهُ : أَمَّا تَقْرِيعُهُ رَأْسَهُ وَجُلُوسُهُ عَلَى اللَّبَدِ الْأَبْيَضِ ،
فَهُوَ يُخْبِرُنَا أَنَّهُ عَبْدٌ ذَلِيلٌ ، وَأَمَّا الْمُصْحَفُ الْمُنَشُورُ ، فَإِنَّهُ
يَذَكِّرُنَا بِالْعَهْدِ الَّتِي لَهُ عَلَيْنَا ، وَأَمَّا السِّيفُ الْمَسْتَلُولُ ، فَإِنَّهُ
يَقُولُ : إِنْ نَكُثْتَ تِلْكَ الْعَهْدَ فَهَذَا يَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَغْلِقُوا
عَنَّا بَابَ ذِكْرِهِ ، وَلَا تَهَيِّجُوهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ .

فَلَمْ يَهَيِّجْهُ الْمَأْمُونُ حَتَّى مَاتَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَقَامَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مَكَانَهُ ، فَكَانَ أَخْفَ النَّاسِ
عَلَى الْمَأْمُونِ .

وَكُتِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَى الْمَأْمُونِ فِي إِطْلَاقِ ابْنِ السَّنْدِيِّ
مِنْ حَبْسِهِ ، وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى مِصْرَ فَعَزَلَهُ عَنْهَا وَحَبَسَهُ ، فَأُطْلِقَهُ
لَهُ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

أخي أنت ومولاي ، فما ترضاه أرضاه
وما تهوى من الأمر ، فإني أنا أهواه
لك الله على ذاك ؛ لك الله لك الله

مخاطبة الملوك

٥	.	.	.	كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك
٦	.	.	.	البيان
٨	.	.	.	تبجيل الملوك وتعظيمهم
١٢	.	.	.	قبلة اليد
١٥	.	.	.	من كره من الملوك ثقيل اليد
١٦	.	.	.	حسن التوفيق في مخاطبة الملوك
٢٢	.	.	.	مدح الملوك والتزلف اليهم
٣٣	.	.	.	التنصل والاعتذار
٤٤	.	.	.	الاستعطاف والاعتراف
٧٦	.	.	.	تذكير الملوك بذمام متقدم
٧٨	.	.	.	حسن التخلص من السلطان
١١٣	.	.	.	فضيلة العفو والترغيب فيه
١١٧	.	.	.	بعد الهمة وشرف النفس
١٣٣	.	.	.	مراسلات الملوك

العقد الفريد

- | | |
|----|-------------------|
| ١ | السلطان وعدل ساعة |
| ٢ | تحت ظلال القنا |
| ٣ | الأيدي السخية |
| ٤ | وفود العرب |
| ٥ | مخاطبة الملوك |
| ٦ | أبناء النور ١ |
| ٧ | أبناء النور ٢ |
| ٨ | أبناء النور ٣ |
| ٩ | أمثال العرب |
| ١٠ | سحر البيان |
| ١١ | دموع الأحزان |
| ١٢ | أنساب العرب |
| ١٣ | من خيام الأعراب |
| ١٤ | فيض الخواطر |
| ١٥ | أدب المنابر |
| ١٦ | الكتابة والكتّاب |

أخبار الخلفاء ١	١٧
أخبار الخلفاء ٢	١٨
أخبار الخلفاء ٣	١٩
أمرء المسلمين	٢٠
أيام العرب ١	٢١
أيام العرب ٢	٢٢
طرائف الشعراء ١	٢٣
طرائف الشعراء ٢	٢٤

892.78:I1314kA:v.5:g.1

البستاني، كرم
العقد الفريد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01042085

American University of Beirut



892.78
I1314kA
v.5

General Library

892.708
I132ikaA
v.5
c.1